


أصدرته منظمة اليونسكو عام 1996

زوروا موقعنا على الإنترنت: www.kitabfijarida.com

عدد 111 – الأربعاء 7 تشرين الثاني (نوفمبر) 2007

# مجلّة لقمان

## مقتطفات من النثر الجاهلي

إعداد وتقديم: شوقي عبد الأمير

رسوم: فاروق حسني




الشريك الثقافي




المؤسسة الراعية

# اقرؤا «كتاب في جريدة» الأربعاء الأول من كل شهر على
# www.kitabfijarida.com




الصفحة الرئيسية للموقع الالكترونيل«كتاب في جريدة» .











سعادة السيد كويشيرو ماتسورا Koïchiro Matsuura مدير عام اليونسكو ومعالي الشيخ محمد بن عيسى الجابر MBI Al Jaber

برعاية كل من مؤسسة MBI Al Jaber Foundation ومنظمة اليونسكو Unesco وبمشاركة كبريات الصحف اليومية العربية ونخبةٍ رائدةٍ من الأدباء والمفكرين، يتواصل أكبر مشروع ثقافي مشترك «كتاب في جريدة» من أجل نشر المعرفة وتعميم القراءة وإعادة وشائج الإتصال بين عموم الناس ونخبة الفكر والإبداع في المجتمع العربي ليقدّم هديّته كلّ شهر بأكثر من مليوني نسخةٍ لكتابٍ من روائع الأدب والفكر قديمه وحديثه.



# مجلّة لقمان

## مختارات من النثر الجاهلي

«مجلة لُقمان» عنوان لم أبتكرهُ فقد وردَ في «سيرة إبن هشام» وهو يروي خبراً عن سُويد ابن الصامت، أحد حكماء الجاهليّة: أن سُوَيْد بن الصامت قدم مكة حاجًّا ومعتمراً... فتصدّى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام، فقال له سُوَيد: «فلعل الذي معك مثل الذي معي، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: وما الذي معك؟ قال: مجلّة لقمان، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: اعْرِضْها عليّ، فعرضها عليه؛ فقال له: إن هذا لكلام حسن. والذي معي أفضل من هذا: قرآن أنزله الله عليّ، هو هُدًى ونور، فتلا عليه رسول الله القرآن، ودعاه إلى الإسلام فلم يَبْعُدْ منه، وقال: إن هذا القول حسن...».

ظل النثر الجاهلي رهين «المحبسين» محبس الجاهليّة ومحبس النثر – إن صح التعبير – فالعرب تميلُ إلى الشعر والشعر ديوانُها كما يقال وكذلك فإن صفة «الجاهليّة» التي أضفاها المؤرخون المسلمون الأوائل على هذه الحقبة لم يكن من شأنها إشاعة وتقريب هذا الأدب إلى الناس ولهذا فإذا كان جزء من الشعر الجاهلي إستطاع الإفلات من قبضة التاريخ العربي الجائرة هذه فقد ظل النثر مندثراً ولم يجمع ولم يحقق ولم يدرس؟! مبعثراً في مقاطع وجمل وإشارات وفقرات من خُطب هنا وأمثال وحكايات هناك. ولم تتوفر له أيّة فرصة للتوثيق والدراسة الأكاديميّة على العكس من الشعر.

لم تكن عمليةُ جمعه بالأمر الهيّن أو السهل وليست هذه إلاّ باقة مقتطفات منه فقط، أحاولُ من خلالها مقاربةً أولى، أو هي على الأقل للفت النظر إلى هذا المصدر الابداعي اللغوي الهام في تراثنا وإلى أهميّة الالتفات إليه والاعتناء به.

تبدو ملامحُ هذا النثر مُوزعةً على خطب ووصايا وأمثال ومفاخرات وبعض من القص في مراحله الأولى. وهو يختلف جوهرياً عن الشعر من حيث فلسفة النص أولاً لأن الشعر تطغى عليه الغنائية الذاتية، البطولة والأنا بكل معانيها فنجد فيه تجلّي الذات العربيّة يومذاك في كل مرافق الحياة ومعتركها؛ عُنفاً وبطولةً، جمالاً وغناءً، حكمةً وأصالةً، موزّعة على أغراض شعرية معروفة.

أما النثر، فعلى العكس من ذلك تماماً تغيبُ فيه الروح الفرديّة الغنائية لتحل محلها الروح الاجتماعية والقبلية والحكمة، فنعرف في النثر أكثر عن أسرار المجتمع الجاهلي وعن تفاصيل الحياة اليوميّة وصفات الرجولة والأنوثة والزيجات وظروفها وشروطها والعائلة والأحساب والأنساب.

إذا كان الشعر الجاهلي مرآة الأنا العربية الغنائية فإن النثر الجاهلي هو مرآة المجتمع العربي وحكمته ومن هنا تأتي أهميّة تكامل الصورة بين الشعر والنثر الجاهلي لكي نفهم بشكل أكبر وأوضح صورة المجتمع العربي في أهم مراحل تكوينه ونكتشف أسراراً وخبايا وتجليّات للغة العربية في أجمل مراحل سطوعها وانتشارها في الجزيرة والعالم القديم.

إن أسماء مثل «قس بن ساعدة الأيادي» و«أكثم بن صيفي» و«أمامة بنت الحارث» لَترقى في النثر إلى أسماءَ مثل «طرفةَ بن العبد» و«زهيرٌ بن أبي سلمي» و«الخنساء» في الشعر وكان أحرى بمؤرخينا في الأدب العربي عدم إهمال هذا النوع من الأدب الرفيع الذي شكّلَ غيابه نقصاً أساسيّاً في ملامح تراثنا الأقدم والأغنى بما لذلك من انعكاس على صورة الهويّة العربيّة بأكملها.

يكشف لنا «النثر الجاهلي» أيضاً وجهاً آخر من عبقرية اللغة العربيّة التي حفظنا عنها الشعرَ فقط في مرحلة نشؤها ولهذا ظلت الصورة عن نشوء وتطور اللغة العربية مرتبطة بالقصيدة، والشعر الجاهلي. ولم تصلنا صورة النثر إلاّ مُتأخرة بعد العصر الأموي وفي أوائل العصر العباسي مع عبدالله بن المقفع ومن ثم الجاحظ وأبي حيّان، ذلك لأننا لم نتوقف ولم نعتن بالنثر في الجاهليّة وفي صدر الإسلام فلم يسادَ «القرآن» ولغة القرآن الذي لم تصنّفهُ العرب لا شعرًا ولا نثرًا، على شعر ونثر مرحلة صدر الإسلام وهكذا تمتدّ المسافةُ بين أقدم النصوص الأدبية العربية التي وصلتنا وهي الشعر (200 سنة قبل الإسلام)، أي منذ أوائل القرن الرابع الميلادي وحتى القرن التاسع الميلادي، بما لا يقل عن خمسة قرون لم نعرف فيها شيئاً مهماً عن النثر...

إن مثل هذه الفجوة الهائلة في تأريخ الأدب العربي هي التي جعلت صورة أدبنا شعريّة بشكل طاغ وغيبتْ رافداً مهمّاً من روافد الإبداع يحمل في طياته دلالات وخصوصيات ابداعية إجتماعية وفكريّة ما زال غيابُها ملمحاً ناقصاً في صورة مجتمعنا وثقافتنا وبالتالي هويتنا.

إن المادّة الفكرية والفنيّة والتقنية وحتى اللغوية التي يحملها لنا النثر تختلف كلياً عن ما يحمله الشعرُ. فعندما تقرأ أكثم بن صيفي:

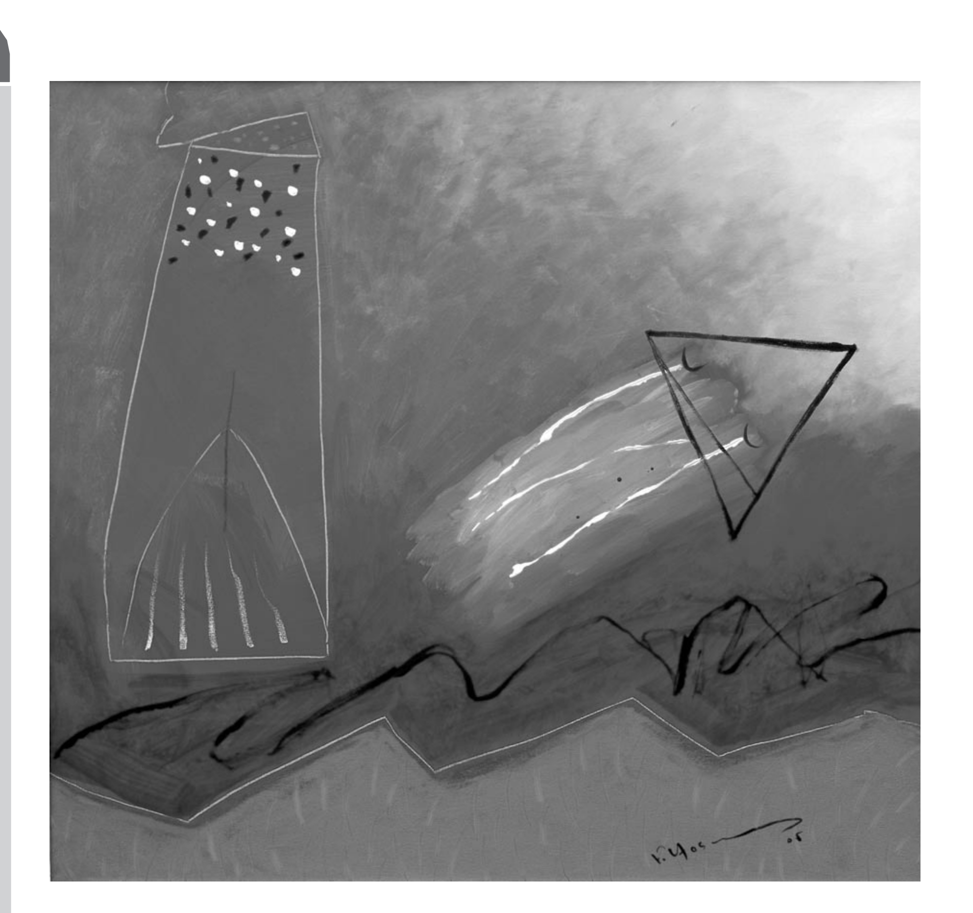
«العقلُ بالتجاربْ. الصاحبُ مناسب. الصديق من صَدق غيبَه. الغريبُ من لم يكُنْ له حَبيبْ. رُبَّ بعيدٍ أقربُ من قريبْ. القريبُ من قَرُبَ نفعُهُ. لو تكاشفتُم ما تدافنتُم... تباعدوا في الديار وتقاربواً في المحبّة. أيّ الرجال المهذّبُ»، فأنت تجدُ في مثل هذا النص قطعةً نادرة في جمال الصياغة والايجاز وعمق الدلالةً وروعة الآداء، لا يُوجد نظيرٌ لها في الشعر الذي يختلف في أدائه وفلسفته وخطابه. كما أننا نجد في الجملة الأخيرة تداخل مع الشعر الجاهلي في نصٍّ لـ النابغة الذبياني:

ولستَ بمُسْتَبِقٍ أخاً لا تلومُهُ
على شَعَثٍ أيُّ الرجال المهذبُ

كدليل على أهمية استخدام النثر وشيوعه في تلك الفترة.

تضُمّ هذه المختارات نصوصاً متناثرةً لعقْد عربي دفين يقدّمه «كتاب في جريدة» إلى الملايين من قراء العربيّة في خطوة تأتي تأكيداً وإثراءً لمسيرته وأهدافِه العميقة.

**شوقي عبد الأمير**



### فاروق حسني

– ولد في الاسكندرية في مصر في أواخر الثلاثينات.
– تخرج من أكاديمية الفنون الجميلة بالاسكندرية.
– غادر مصر بعد فترة قصيرة، ليواجه أوربا للمرّة الأولى في بلجيكا ثم فرنسا وإيطاليا.
– عمل مديراً للمركز الثقافي المصري في باريس.
– يشغل حالياً منصب وزير الثقافة في مصر منذ أكثر من عشرين عاماً.
– عُرف عالميّاً وانتشرت أعمالهُ ولوحاته في العديد من المتاحف الكبرى في أوربا ويعتبر اليوم واحداً من الأسماء الفنية العالمية المعروفة.
– كتب عنه الناقد الفني الايطالي المعروف «كارميني سينيسكالكو»:

«يعايش فاروق حسني الفن، كعُنصر جوهري لبقائه، وكحالة تثري بجانبه الروحي. كان فاروق دائماً يحملُ خلال ترحاله المتاع الثري لعالمه الخاص عالم مصر مصحوباً بالألوان، بساعة الغروب وسراب الصحراء، بالمجرى المتقلب والساكن للنهر الخالد: هذا التراث الهام من الثقافة والمعتقدات منحه القدرة على الاحتفاظ باستقلالية خاصة وعلى إنتزاع شخصيّة واضحة في بانوراما الفن التجريدي ليس فقط في مصر بل أيضاً في أوربا حيث شكّل ذاتَه وأكّدها.

على مر السنين ظل فاروق مخلصاً لهويّة تسعى لفرض الرؤية الغنائية للفن التجريدي وكثيراً ما تخضبُ بأشكال غير محدّدة تعكس طبيعة ليست مصوّرة ولكن أعيدت صياغتها في ثنايا الذاكرة: زرقة البحر الأبيض المتوسط، الأصفر الحرّاوي، اللون القرمزي لساعات الغروب والليل بلونه البنفسجي.

ومع ذلك فإن فاروق كانسان وفنان مرّ بمراحل إنفعالية مختلفة انعكست في دوائر فنيّة متنوعة يوحّدُ بينها: فجائية قويّة، طابع قلق يبدو مسيطراً، إستخدام خاص للألوان تماماً مثل فصول رواية تتوالى...»

ك.ف.ج.





**كتاب في جريدة**
**عدد رقم 111**
**(7 تشرين الثاني 2007)**
**الطابق السادس، سنتر دلفن،**
**شارع شوران، الروشة**
**بيروت، لبنان**
**تلفون / فاكس 835 868-1-00961**
**تلفون 219 330-3-00961**
**kitabfj@cyberia.net.lb**
**kitabfijarida@hotmail.com**





# 1. الوصايا

## العتاب قبل العقاب..

### وصية أوس بن حارثة لابنه مالك

عاش أوس بن حارثة دهراً، وليس له ولد إلا مالك؛ وكان لأخيه الخزْرج خمسة: عمرو، وعوف، وجُشَم، والحرث، وكعب. فلما حضره الموت، قال له قومه: قد كنا نأمرك بالتزويج في شبابك، فلم تزَوَّجْ حتى حضرك الموت، فقال أوس:

لم يَهْلِك هالك، ترك مِثْلَ مالك، وإن كان الخزرج ذا عدد، وليس لمالكٍ ولد، فلعلَّ الذي استخرج الْعَذْق[1] من الجَريمة[2]، والنار من الوَثِيمَة[3]، أن يجعل لمالك نسْلا، ورجالاً بُسْلا[4]، يا مالك، المَنِيَّةُ ولا الدنيَّة، والعتابُ قبلَ العقاب، والتجلُّدُ لا التبلُّد، واعلم أنَّ القبرَ خيرٌ من الفقر، وشَرَّ شاربٍ المشتفّ[5]، وأقبح طَاعِم المُقْتَف[6]، وذهابُ البصرِ خيرٌ مِنْ كثيرٍ من النظر، ومِنْ كَرَم الكَرِيْم، الدِّفَاعُ عن الحريم، وَمنْ قَلَّ ذَلَّ، وَمَنْ أَمِر[7] فَلَّ، وَخَيْرُ الغِنَي القناعة، وشرُّ الفقرِ الضَّراعة، والدَّهرُ يومان، فيومٌ لكَ ويومٌ عليك، فإذا كان لك فلا تبطَر، وإذا كانَ عليكَ فاصبرْ، فكلاهما سَيَنْحَسِر[8]، فإنما تَعُزُّ[9] منْ ترى ويعزّكُ منْ لا ترى، ولو كانَ الموتُ يُشْتَرَى، لَسَلِمَ مِنْهُ أهلُ الدُّنيا، ولكنَّ الناسَ فيهِ مُستوون، الشريف الأبْلَج، واللَّئِيم المُعَلْهَج[10]، وَالمَوتُ المُفِيتُ، خيرٌ منْ أنْ يقالَ لك هَبِيت[11]، وكيفَ بالسلامة، لمنْ ليست لهُ إقامة، وشَرٌّ من المصيبة سوءُ الخَلَف، وكلُّ مجموعٍ إلى تَلَف.

(الأمالي 1: 102 وشرح ابن أبي الحديد 4: 154)

## كنْ ليِّناً معَ منْ تُحب..

### وصية ذي الإصبع العدواني لابنه أسيد

لما احْتُضِر[12] ذو الإصبع دعا ابنه أسيداً، فقال له:

يا بني إنَّ أباكَ قد فنى وهو حيٌّ، وعاشَ حتى سئِم العيش، وإني موصيكَ بما إنْ حفظته بَلَغْتَ في قومك ما بلغتُه، فاحفظ عني. ألِنْ جانبكَ لقومكَ يحبُّوك، وتواضعْ لهمْ يرفَعُوكَ، وَابْسُطْ لهمْ وَجهَكَ يُطِعيوكَ، وَلا تستأثرْ عليهمْ بشيءٍ يسوِّدوكَ، وأكرمْ صِغَارَهمْ كَمَا تكرمُ كبارَهم، يُكْرِمْكَ كبارهم، ويَكْبَرْ على مودَّتك صغارُهم، واسمحْ بمالك، وَاحْمِ حَرِيمك، وَأَعْزِزْ جارك، وَأَعِنْ مَنِ استعان بك، وأكرم ضيفك، وأسرع النهضة في الصريخ[13]، فإن لك أجَلاً لا يَعْدُوك، وَصُنْ وجهك عن مسألة أحدٍ شيئاً، فبذلكَ يتمُّ سُؤْدُدُكَ.

(الأغاني 3: 6)

## لم أمتْ ولكنْ هرمت..

### وصية عمرو بن كلثوم لبنيه

أوصى عمرو بن كلثوم التَّغْلبي فقال:

يَا بَنِيَّ إني قد بلغتُ من العمرِ ما لمْ يبلغْ أَحدٌ من آبائي وأجدادي، ولا بدَّ منْ أمرٍ مقتبل، وأن ينزلَ بي ما نزلَ الآباءَ والأجداد، والأمهاتِ والأولاد، فاحفظوا عني ما أُوصيكم به: إني واللهِ ما عَيَّرتُ رجلاً قطُّ أمراً إلاَّ عُيِّرَ بي مثله، إن حقّاً فحقّاً، وإنْ باطلاً فباطلاً، ومن سَبَّ سُبَّ، فكفُّوا عن الشَّتم فإنَّهُ أسلمُ لأعراضكم، وَصِلوا أرْحَامَكم، تَعْمُرْ داركم، وأكرموا جارَكم يَحْسُنْ ثناؤكم، وَزوِّجُوا بناتِ العمِّ بني العم، فإنْ تعدَّيتم بهنَّ إلى الغُرباء، فلا تَأْلُوا بهن الأكفاء، وأبعدوا بيوتَ النِّساء من بيوتِ الرِّجال، فإنه أغضُّ للبصر، وأعفُّ للذكر، ومتى كانت المعاينةُ واللقاءُ، ففي ذلك داءٌ من الأدواء، ولا خيرَ فيمنْ لا يغارُ لغيره، كما يغارُ لنفسِهِ، وقلَّ مَن انتهكَ حُرْمةً لغيرهِ إلا انْتُهكت حُرْمَتُهُ، وامنعوا القريبَ من ظلم الغريب، فإنكَ تذلُّ على قريبك، ولا يحلُّ بك ذل غريبك، وإذا تنازعتم في الدماء فلا يكنْ حقُّكم للقاء، فرُبَّ رجل خيرٌ من ألف، ورُدٌّ خير من خلف، وإذا حُدِّثتم فَعُوا، وإذا حَدثتم فأوجزوا، فإنَّ مع الإكثار يكونُ الإهذار[14]، ويموت عاجل خير من ضني آجل، وما بكيتُ من زمانٍ إلا دهاني بعده زمانٌ، وربَّما شجاني منْ لمْ يكنْ أمرُهُ عناني، وما عجبتُ من أحدوثة إلا رأيتُ بعدَها أعجوبة، واعلموا أنَّ أشجعَ القوم الْعَطُوف، وخيرَ الموت تحتَ ظلالِ السيوف، ولا خيرَ فيمنْ لا رويَّةَ لهُ عنْدَ الْغَضب، ولا فيمنْ إذا عُوتِب لم يُعْتِب[15]، ومن الناسِ من لا يُرْجى خيره، ولا يخاف شره، فَبَكْؤه[16] خير من دَرِّه، وعقوقه خير من برِّه، ولا تُبَرِّحوا في حبِّكم، فإنَّهُ من برَّح في حبٍّ، آلَ ذلكَ إلى قبيح بغض، وكمْ قدْ زارني إنسانٌ وزرتهُ، فانقلبَ الدهرُ بنا فَبُرْته[17]، واعلموا أنَّ الحكيمَ سليم، وأنَّ السيفَ كليم، إني لم أمتْ ولكنْ هرمت، ودخلتني ذِلَّةٌ فسكتّ، وضعفَ قلبي فَأَهْتَرت[18] سلَّمَكُمْ ربُّكم وحياكم.

(شرح ابن أبي الحديد 4: 155 والأغاني 9: 178)

## الحقد يمنع الرِّفد

### وصية الحرث بن كعب لبنيه

وأوصى الحرث بن كعب بنيه فقال:

«يا بَنيَّ قد أتت عَلَيَّ مائة وستون سنة، ما صافحت يميني يمين غادر، ولا قَنعْت لنفسي بِخُلَّة[19] فاجر، ولا صَبَوْت بابنة عم ولا كَنَّة[20]، ولا بُحْتُ لصديق بسرّ، ولا طَرَحْتُ عن مُومسة قِناعاً، ولا بقي على دين عيسى بن مريم « وروى: على دين شعيب » من العرب غيري وغير تميم بن مرة، وأسد بن خُزَيْمَة، فموتوا على شريعتي، واحفظوا وصيتي، وإلهكم فاتقوا، يَكْفِكم ما أهمَّكم، ويصلح لكمْ حالكم، وإيَّاكم ومعصيته، فَيُحِل بكم الدَّمار، وَيُوحش منكم الديار. كونوا جميعاً ولا تفرَّقوا، فتكونوا شِيَعاً، وَبُزُّوا قبل[21] أن تُبَزُّوا، فموتٌ في عزٍّ خيرٌ من حياةٍ في ذلٍّ وعجز، وكلُّ ما هو كَائِنٌ كَائِن، وكلُّ جمعٍ إلى تباين، والدَّهرُ ضربان، ضَرْب بلاء، وضربُ رخاء، واليومُ يومان، يوم حَبرة، ويوم عَبرة، والناس رجلان، رجل لك، ورجل عليك، زوِّجوا النساء الأكفاء، وإلاَّ فانتظروا بهنَّ القضاء، وليكنْ أطيبَ طيبهنَّ الماء، وإياكم وَالْوَرْهَاء[22]، فإنها أدواءُ الداء، وإن وَلدها إلى أَفَن[23] يكون، لا راحة لقاطع القرابة، وإذا اختلفَ القوم أمكنوا عدوَّهم، وآفة العدوّ اختلاف الكلمة، والتفضُّلُ بالحَسَنَة، يقي السيِّئة، والمكافأة بالسيئة دخولٌ فيها، وعملُ السوء يزيلُ النَّعْمَاء، وقطيعةُ الرَّحم تورثُ الهمَّ، وانتهاك الحرمة، يزيلُ النعمة، وعقوقُ الوالدين يُعْقِب النكد، ويخربُ البلد، ويَمْحَقُ العدد، والإسرافُ في النصيحة، هو الفضيحة، والحقدُ يمنعُ الرِّفد، ولزومُ الخطيئة، يعقبُ البلية، وسوءُ الرِّعة[24]. يقطعُ أسبابَ المنفعة، والضغائنُ تدعو إلى التباين، يا بَني، إني قد أكلتُ مع أقوام وشربتُ، فذهبوا وَغَبَرْت، وَكأني بهم قد لَحِقْت.

(شرح ابن أبي الحديد 4: 154)

ملاحظة: العناوين ليست من الأصول.

# لا شماتة بالذل...

## وصية عامر بن الظرب العدواني لقومه

وكَان عامر بن الظَّرِب الْعُدْواني سيدَ قومه، فلما كَبِر وخشي عليه قومه أن يموت، اجتمعوا إليه وقالوا: إنك سيدنا وقائلنا وشريفنا، فاجعل لنا شريفاً وسيداً وقائلاً بعدك، فقال:

«يا معشر عَدْوَان: كلفتموني بغْياً، إن كنتم شرَّفتموني فإني أريتُكُم ذَلِكَ منْ نَفْسِيْ، فأنّى لكم مثلي، افهموا ما أقولُ لَكُمْ، إنَّهُ منْ جَمَعَ بينَ الحقَّ والباطل لم يجتمعا لهُ، وكانَ الباطِلُ أولى به، وإنَّ الحقَّ لمْ يزلْ ينفِرُ من الباطل، ولمْ يزلْ الباطلُ ينفِر من الحقِّ.

يا معشرَ عدوان: لا تَشْمَتُوا بالذِّلة، ولا تفرحوا بالعزَّة، فبكل عيشٍ يعيشُ الفقيرُ مع الغني، ومن يَرَ يوماً يُرَ به[25]، وَأعدُّوا لِكُلِّ امرئٍ جَوَابَهُ، إنَّ من السَّفاهةِ الندامةَ، والعقوبة نَكال وفيها ذِمَامة[26]، ولليد الْعُلْيا[27] العاقبة، وَالْقَوَد[28] راحة، لا لك ولا عليك، وإذا شئتَ وجدت مثلك، إن عليك كما أن لك، وللكثرة الرعبُ، وللصبر الغلبةُ، ومن طلب شيئاً وجده، وإن لم يجده يوشكْ أن يقع قريباً منه».

(مجمع الأمثال 2: 183)

# أوصيكم بالقسوة...!

## وصية دويد بن زيد لبنيه

لما حضرت دُوَيْدَ[29] بن زيد الوفاةُ قال لبنيه:

«أوصيكم بالناس شرّاً، لا تَرْحَمُوا لهم عَبْرَةً، ولا تُقِيلوهم عَثْرَةً[30]، قَصِّرُوا الأعِنَّةَ، وَطَوِّلُوا الأسنَّةَ، واطعنوا شَزْراً[31]، واضربوا هَبْراً[32]، وإذا أردتم المحاجزة، فقبل المناجزة، والمرء يَعْجِز لا المحالة، بالجَدِّ لا بالكَدِّ، التجلُّد ولا التبلُّد، والمنيَّة ولا الدَّنِيَّة، ولا تأسَوا على فائت وإن عزَّ فقده، ولا تَحِنُّو إلى ظاعِن وإن أُلِفَ قُربه، ولا تطمعوا فتطبَعُوا[33]، ولا تَهِنُوا فَتَخْرَعُوا[34]. ولا يكونَنَّ لكم المثل السوء «إن المَوَصَّيْنَ بنو سَهْوان[35]» إذا مُتُّ فَأرحِبُوا[36] خَطَّ مَضْجَعي، ولا تَضِنُّوا عليَّ برَحب[37] الأرض، وما ذلك بِمُؤَدٍ إليَّ رَوْحاً[38]، ولكن حاجة نفس خامَرَها الإشفاقُ».

(أمالي السيد المرتضى 1: 171)

# علمتني التجارب..!

## وصية زهير بن جناب الكلبي

وأوصى زُهَيْر بن جناب الكلبي[41] بنيه فقال:

«يا بَنِيَّ: قد كَبِرت سِنِّي، وبلغت حَرْساً[42] من دهري، فأحْكَمَتْنِي التَّجاربُ، والأمُوْرُ تَجْرِبةٌ واخْتِبَارْ، فاحْفظوا عنّي ما أقولُ وَعُوه، إيَّاكم والخَورَ عندَ المصائبِ، والتواكُل عندَ النوائبِ، فإنَّ ذلكَ داعيةٌ للغمِّ، وَشَمَاْتَةٌ للعدوِّ، وسوءُ ظنٍّ بالربِّ، وإيَّاكم أنْ تكوْنُوْا بالأحداثِ مغترِّين، ولها آمنين، ومنها ساخرين، فإنَّهُ ما سَخِرَ قومٌ قَطُّ إلا ابْتُلُوا، وَلكنْ توقَّعُوْها، فإنما الإنسانُ في الدُّنيا غَرَض[43] تَعَاوَرُه الرُّماة، فَمُقَصِّرٌ دُوْنَهُ، وَمُجاوز لِمَوْضِعِهِ، وَوَاقع عن يمينه وشماله، ثم لا بد أنه مصيبه».

(أمالي السيد المرتضى 1: 173)

# لا تمكثوا في حروب ليست حروبكم...

## وصية النعمان بن ثواب العبدي لبنيه

كَان للنعمان بن ثَوَاب العَبْدِي بنون ثلاثةٌ: سعدٌ وسعيد وساعدة، وكَان أبوهم ذا شَرَف وحكمة، وكَان يُوصي بنيه، ويحْملهم على أدبه، أما ابنه سعد فكان شجاعاً بطلاً من شياطين العرب، لا يُقام لسبيله، ولم تَفُته طَلِبَتُه قطُّ، ولم يَفِرَّ عن قِرْن؛ وأما سعيد فكان يُشبه أباه في شرفه وسُودَدِه؛ وأما ساعدة فكان صاحب شراب ونَدامَى وإخوان، فلما رأى الشيخ حال بنيه دعا سعداً، وكَان صاحب حرب، فقال:

«يا بُنَيّ إن الصارم يَنْبُو، والجواد يَكْبُو، والأَثَر يَعْفُو[44]، فإذا شَهِدْت حرباً، فرأيت نارها تَسْتَعِرُ، وبَطَلها يَخْطِر، وبحرها يَزْخَر، وَضَعِيْفُها يُنصَر، وجبانها يَجْسُر، فأقْلِل المُكث والانتظار، فإن الفِرارَ غيرُ عار، إذا لم تكنْ طالبَ ثار، فإنما يُنْصَرُونَ هم[45]، وإياك أن تكون صَيْدَ رِمَاحِها، ونَطِيحَ نِطَاحِها».

وقال لابنه سعيد، وكَان جواداً:

«يا بني لا يبخَل الجواد، فأبذل الطَّارِفَ والتِّلاد[46]، وأقْلِل التَّلاح[47]، تُذْكر عند السَّمَاح، وابْلُ[48] إخوانك، فإن وَفِيَّهم قليل، واصنع المعروف عند محتَمِله».

وقال لابنه ساعدة، وكَان صاحب شراب: «يا بني إن كثرة الشراب، تُفْسد القلب، وتقلِّل الكسب وتجُدُ اللعب[49]، فأبصر نديمك، واحْمِ حَرِيمك، وأعِنْ غَرِيمك[50] واعلم أن الظمأ القامح[51]، خير من الرّي الفاضح، وعليك بالقصد فإن فيه بَلاَغاً».

(مجمع الأمثال 1: 48)

# ندم القاتل...

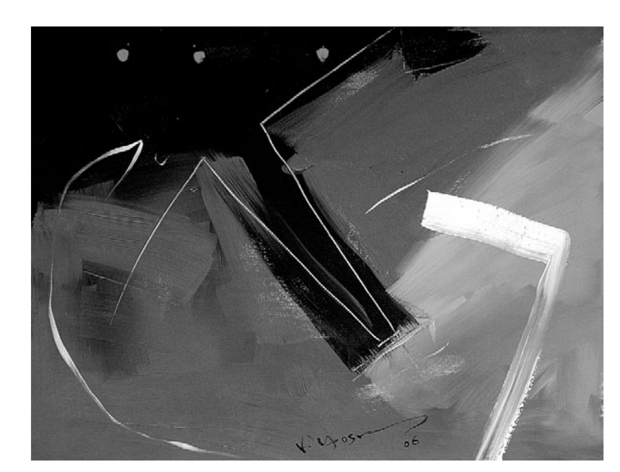
## وصية قيس بن زهير لبني النمر بن قاسط

جاور قيس بن زُهَير الْعَبْسي[52] بعد يوم الْهَبَاءَة النَّمِرَ بن قاسط، وتزوج منهم، وأقام فيهم حتى ولد له، فلما أراد الرحيل عنهم قال:

«يا مَعْشَرَ النَّمِر: إن لكم عليَّ حقّاً، وأنا أريد أن أُوصيكم، فآمُركم بخصال، وأنهاكم عن خصال، عليكم بالأنَاة، فإن بها تُدْرَك الحاجة، وتُنال الفرصة، وتسويدِ من لا تُعابون بتسويده، وعليكم بالوفاء، فإن به يعيش الناس، وبإعطاء من تريدون إعطاءه قبل المَسْألة، ومَنْعِ من تريدون مَنْعَهُ قبل الإلحاح، وإجارة الجار على الدهر، وتنفيسِ المنازل عن بيوت اليتامى، وخلط الضيف بالعِيَال.

وأنهاكم عن الغَدْر فإنَّهُ عارُ الدَّهْر، وعن الرِّهان، فإني به ثَكِلت مالكاً أخي وعن البَغْي، فإنَّهُ قَتَلَ زُهَيْراً أَبي[53]، وعن الإعطاءِ في الفضول، فتعجِزُوا عن الحقوق، وعن السَّرَف في الدماء، فإنَّ يومَ الهَباءة[54] ألزمني العارُ، ومَنْعِ الحُرَم إلا من الأكفاء، فإنْ لمْ تصيبوا لهنَّ الأكفَّاء. فإن خير مناكحهنَّ القبور، (أو خير منازلها)، واعلموا أني كنتُ ظالماً مظلوماً، ظلمني بنو بدر بقتلهم مالكاً أخي، وظلمتهم بأنْ قتلتُ من لا ذنبَ له».

(العقد الفريد 2: 244، وآمالي السيد المرتضى 1: 149، وشرح العيون ص 90)





# الخيل حصون الرجال..

## وصية حصن بن حذيفة لبنيه

وأوصى حِصْن بن حُذَيْفة بن بدر الْفَزاري بني بدر فقَال:

«اسمعوا مني ما أُوصِيكم به: لاَ يَتكِلْ آخِرُكم على أولكم، فإنما يُدرك الآخِرُ ما أدركه الأول، وَأَنكحُوا الْكُفْءَ الغريبَ، فإنه عِزٌّ حادث، وَإذا حضركم أمران، فخذوا بخيرهما صَدَراً[55]، فإن كلَّ مَوْرِد مَعْرُوف، وأصحَبوا قومكم بأجْمَلِ أخلاقِكُمْ، ولا تُخَالِفُوا فيما اجتمعوا عليه، فإن الخلاف يُزْرى بالرئيس المطَاع، وإذا حادثتم فَارْبَعُوا[56]، ثم قولوا الصدقَ، فإنهُ لا خيرَ في الكذبِ، وصونوا الخيلَ فإنهَا حُصُون الرجال، وَأَطيلوا الرِّماح فإنها قُرُون الخيل، وَأَعِزُّوا الكبير بالكِبَر، فإني بذلك كنت أغلِب الناس، ولا تَغْزُوا إلا بالعيون[57]، ولا تسرِّحوا حتى تأمَنُوا الصَّبَاح[58]، وأعطوا عَلَى حَسَبِ المال، وأَعْجِلوا الضيفَ بالْقِرى[59]، فإن خَيرَه أعجلُه، واتقوا فضيحَاتِ البغي، وفَلَتَاتِ المُزاح، ولا تُجِيرُوا على الملوك، فإن أيديَهم أطول من أيديكم».

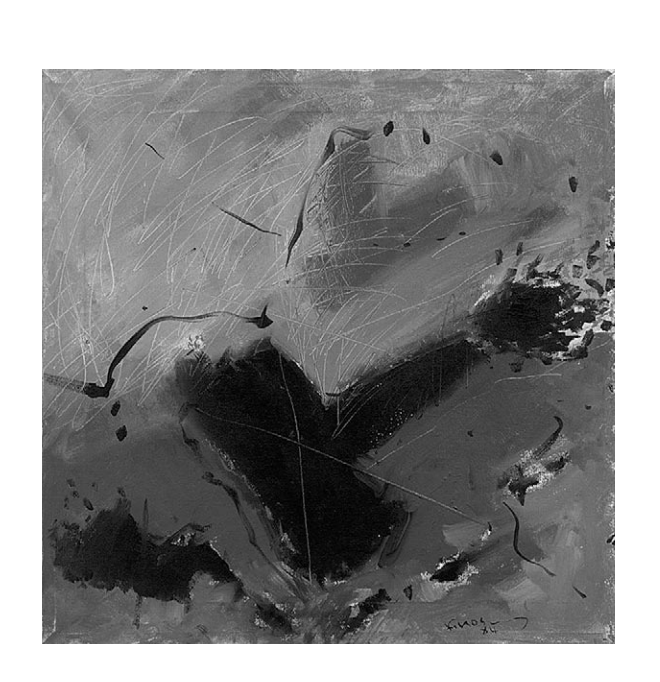
(أمالي السيد المرتضى 2: 168)

# قبر الرجل فمه..

## وصية الأكثم بن صيفي

كتب النعمان بن خَمِيصة الباروقيُّ إلى أكثم بن صيفي: «مَثِّل لنا مِثَالاً نأخذ به[60]» فقال: «قد حَلَبْتُ الدهرَ أشْطُرَهُ[61] فعرفتُ حُلْوه ومُرَّه. عين عَرَفت فَذَرَفت[62]، إنَّ أمَامِي مَا لا أُسَامِي[63]. رُبَّ سَامِعٍ بَخَبَرٍ لم يَسْمَع بِعُذْري. كلُّ زمان لمن فيه. في كل يومٍ ما يُكْرَه. كل ذي نُصْرة سيُخذَل. تَبَارُوا فإن البَرَّيَنْمِي[64] عليه الْعَدَد وكُفُّوا ألسنتكم فإنَّ مقتلَ الرجلِ بين فَكَّيْه. إن قولَ الحق لم يَدَعْ لي صَدِيقاً. الصدق منجاة لا ينفع مع الجزع التبقّي. ولا ينفع مما هو وَاقعٌ التَّوَقِّي، سَتُسَاقُ إلى ما أنت لاقٍ. في طلب المعالي يكون الْعَنَاء. الاقتصاد في السعي أبقى للجِمَام[65] من لم يَأسَ[65] على ما فاته وَدَّعَ بدنُهُ، ومن قنع بما هو فيه قَرَّت عينه. التقدُّم قبل التندُّم[67]. أصبحُ عند رأس الأمر أحبُّ إليّ من أن أصبح عند ذنبه. لم يهلِك من مالك ما وعظَك. ويْلٌ لعالم أمر من جاهله. يتشابه الأمر إذا أقبل، فإذا أدبر عرفة الكيِّس والأحمق. الْوَحْشة ذهاب الأعلام[68]. البَطَر عند الرخاء حُمْق والعجز عند البلاء أفَن[69]. لا تغضَبوا من اليسير، فربما جنى الكثير. لا تُجيبوا فيما لم تُسْألوا عنه. ولا تضحكوا مما لا يُضْحك منه. حِيلةُ من لا حِيلَةَ له الصبر. كونوا جميعاً فإن الجمع غالب، تثبَّتُوا. ولا تسارعوا فإن أحزم الفريقين الرَّكين. رب عَجَلَةٍ تَهب رَيْثاً. ادَّرِعوا الليل واتخذوه جَمَلاً. فإن الليل أخفى للويل. ولا جماعة لمن اختلف. تنائوا في الديار ولا تباغَضُوا. فإنه من يجتمع يَتَقَعْقَعْ[70] عَمَدُه. ألزموا النساء المهابة[71] نِعْمَ لهوُ الْغُرَّة[72] المِغْزَل. إن تَعِش تَرَ مالم تره. قد أقرَّ صامتٍ. الْمِكْثار كحاطبِ[73] لَيْلٍ. من أكثر أسقط[74]. لا تجعلوا سراً إلى أمة. لا تَفَرَّقوا في القبائل، فإن الغريب بكل مكانٍ مظلوم، عاقِدُوا الثَّرْوة[75]. وإياكم والوشائظَ[76] فإن مع الْقِلَّة الذِّلَّةَ: لو سُئِلَت العارية قالت أبْغِي لأهلي ذُلاً. الرسول مُبَلِّغ غيرُ مَلُوم. من فَسَدَتْ بِطَانَتُهُ غَصَّ بالماء. أسَاءَ سَمْعاً فأسَاءَ جَابَةً[77]. الدَّالُّ على الخير كفاعله. إن المسألة مَنْ أضْعَف المَسْكَنَة. قد تجوع الحرة ولا تأكل بِثَدْيَيْهَا[78]. لم يَجُرْ سالِكُ الْقَصْد، ولم يَعْمَ قاصِدُ الحق. من شَدَّدَ نَفر، ومن تراخى تألَّف. الشرف التغافل. أوْفَى القول أوجَزُه. أصوب الأمور تَرْك الْفُضول. التغرير مِفتاح البؤس. التواني والعجز ينتجان الهَلَكة. لِكُلِّ شيءٍ ضَراوة[79]. أحوج الناس إلى الغِنى من لا يُصْلحه إلا الغني، وهم الملوك. حُبُّ المدح رأسُ الضَّيَاع. رِضَا الناس غاية لا تُبْلَغ. لا تَكْرَه سُخْطَ مَنْ رِضاه الجَوْرُ معالجة العَفاف مَشَقَّة فتعوَّد بالصبر. اقصُر لسانك على الخير وأخِّر الغضب، فإن القدرة من ورائك، من قَدَدَ أزمع، أمَرُّ أعمال المقتدرين الانتقام، جَازِ بالحسنة ولا تكافئ بالسيئة، أغنى الناس عن الحقْد مَنْ عَظُم عن المجازاة. مَنْ حَسَد مَنْ دونه قلَّ عُذْره، من جعل لِحُسن الظن نصيباً رَوَّح عن قلبه، عِيُّ الصمت أحمد من عِي المنطق، الناس رجلان محترس وَمحترَس منه كثير النُّصح يَهْجُم على كثير الظِّنَّة[80]، من ألَحَّ في المسألة أبْرَم[81]، خير السخاء ما وافق الحاجة، الصمت يكسب المحبة، لن يغلب الكذب شيئاً إلا غَلَبَ عليه الصدق، القلب قد يُتَّهَم وإن صدق اللسان، الانقباض عن الناس مَكْسَبة للعداوة، وتقريبهم مكسبة لقرين السوءِ، فكن من الناس بين القرب والبعد. فإن خير الأمور أوساطها، فُسُولَة[82] الوزراء أضر من بغض الأعداء، خير القُرَناء المرأة الصالحة، وعند الخوف حُسْن العمل، من لم يكن له من نفسه زاجرٌ لم يكن له من غيره واعظ، وتمكَّن منه عدوه على أسوأ عمله، لن يَهْلِك امرؤ حتى يملَّ[83] الناس عَتيد فعله ويشتد على قومه، ويُعْجَب بما ظهر من مروءته، ويغتر بقومه، والأمر يأتيه من فوقه، ليس للمختال في حسن الثناء نصيب، لا نَمَاءَ مع العَدَم، إنه من أتى المكروه إلى أحد بدأ بنفسه. العِيُّ أن نتكلم فوق ما تسد به حاجتك، لا ينبغي لعاقل أن يثق بإخاء من تضطره إلى إخائِه حاجَةٌ، أقلُّ الناس راحةً الحَقود، من تَعَمَّد الذنب لا تحل رحمته دون عقوبته، فإن الأدب رِفق، والرفق يُمْن».

(جمهرة الأمثال 1: 320، ومجمع الأمثال 2: 145)





# من سأل فوق قدره استحق الحرمان..

## وصية أكثم بن صيفي لطيء

وقال أكثم بن صيفي في وصية كتب بها إلى طيء:

«أُوصيكم بتقوى الله وَصِلَةِ الرَّحِم. وإياكم وَنِكَاحَ الحَمْقاء، فإن نكاحها غَرَر[84]، وَوَلَدَها ضياع. وعليكم بالخيل فأكرموها، فإنَها حصون العرب، ولا تضعوا رقاب الإبل في غير حقها. فإن فيهَا ثمنَ الكريمة[85]، وَرَقُوءَ الدم[86]، وبألبانهَا يُتْحَف الكبير[87]، وَيُغْذَى الصغير، ولو أن الإبل كلِّفت الطَّحن لطحنت. ولن يَهْلِك امرؤ عرف قدره. والعُدْم[88] عُدْمُ العقل، لا عُدْمُ المال. ولَرَجُلٌ خيرٌ من ألفِ رجل. ومن عَتَب على الدهر طالت مَعْتَبَته. ومن رضي بالْقَسْم[89] طابت معيشته. وآفةُ الرأي الهوى والعادة أَمْلك[90]. والحاجةُ مع المحبَّةِ خيرٌ من الْبُغْض مع الغنى. والدنيا دُوَل، فما كانَ لكَ أتاكَ على ضعفك؛ وما كان عليك لم تدفعه بقوتك. والحسدُ داءٌ ليسَ لهُ دواء. والشماتة تُعْقِب. ومن يرَ يوماً يُرَ به. قبل الرِّماء تُملأ الكنَائِن[91]. الندامة مع السفاهة. دِعامة العقلِ الحُلم. خيرُ الأمور مَغَبةُ الصبر. بقاء المودة عَدْلُ[92] التعاهد. من يَزُرْ غِباً يزدد حبّاً. التغريرُ مفتاحُ البؤس. من التواني والعجز تُنْتَجِ[93] الهَلَكَةُ. لِكُلِّ شيء ضَراوة. فَضَرِّ لسانك بالخير. عِيٌّ الصمت أحسنُ من وَعْيِ الْمَنْطِق. الحزمُ حفظُ ما كُلِّفتَ وتركُ ما كفِيتَ. كثير النصح يَهْجُم على كثير الظِّنَّة. من ألحف في المسألة ثَقل. من سأل فوق قدره استحق الحرمان. الرِّفق يُمْن، والخرْق شؤم. خير السخاء ما وافق الحاجة. خير العفو ما كان بعد القدرة».

(مجمع الأمثال: 2: 87)

# مصارع الرجال تحت بروق الطَّمع..

## وصية أكثم بن صيفي لبنيه ورهطه

وصَّى أكثم بن صيفي بنيه ورهطه، فقال:

«يا بني تميم لا يَفُوتَنَّكُمْ وعظي إن فاتكم الدهر بنفسي، إن بين حَيْزُومِي[94] وصدرى لكلاماً لا أجد له مواقعَ إلاَّ أسماعكم، ولا مقَارَّ إلا قلوبكم، فتلقوه بأسماع مصغية، وقلوب واعية، تحمَدُوا مَغَبَّتَه. الهوى يقظان، والعقل راقد، والشهوات مُطْلَقَةٌ، والحزم معقول والنفس مهملة، والروية مُقَيَّدَة، ومن جهة التواني وترك الروية يَتْلف الحزم، ولن يعدَم المُشَاوِر مُرْشِدا، والمُسْتَبِدّ برأيه موقوف على مَدَاحِض الزلل، ومن سمّع سُمع بِهِ، ومصارع الرجال تحت بروق الطَّمع، ولو اعتُبرت مواقع المحن ما وُجِدَت إلا في مقاتل الكرام، وعلى الاعتبار طريق الرشاد، ومن سلك الجَدَد أَمِن العثار، ولن يَعْدَم الحسود أن يُتْعِب قلبه، ويَشْغَل فِكْره، ويُؤَرِّث غيظه، ولا تجاز مَضَرَّتُهُ نَفْسَه.

يا بني تميم: الصبر على جَرْع الحلم أعذب من جَنْى ثمر الندامة، ومن جعل عِرْضه دون ماله اسْتَهْدَفَ للذم، وَكَلْم اللسان أنْكى من كَلْم السنان، والكلمة مرهونة ما لم تَنْجُم من الفم، فإذا نجَمَتْ فهي أسد مُحَرَّب، أو نار تَلَهَّب، ورأي الناصح اللبيب دليل لا يجوز، ونفاذ الرأي في الحرب، أجدى من الطعن والضرب».

(شرح ابن أبي الحديد 4: 155، وشرح العيون 15 وجمهرة الأمثال 2: 212)

# العمر أقصر من أن يحتمل الهجر

## أمثال أكثم بن صيفى (وَبُزُرْجَمِهْر) الفارسي[95]

«العقل بالتجارب. الصاحب مناسب[96]. الصديق مَنْ صَدَق غَيْبُه[97]. الغريبُ منْ لمْ يكن له حَبيب. ربَّ بعيدٍ أقربُ من قريب. القريبُ من قرُب نفعُه. لو تكاشفْتم ما تَدافنتُم. خير أهلِك من كفاك، خيرُ سلاحِكَ ما وقَاكَ. خير إخوانك من لم تَخْبُره. رب غريبٍ ناصح الجَيْب[98]، وابن أبٍ متَّهم بالغيب، أخوك مَنْ صَدَقَك، الأخ مرآة أخيه. إذا عَزَّ أخوك فَهُنْ[99]. مُكْرَه أخاك لا بَطَل[100]. تَبَاعَدُوا في الديار وتقاربوا في المحبة. أيُّ الرِّجال المهذّب[101]؟ مَنْ لك بأخيك كله. إنك إن فَرِحْتَ لاقٍ فَرَحا.

أحْسِنْ يُحْسَنْ إليك. ارْحَم تُرْحَم. كما تَدِين تُدَان[102]. من يَرَ يوماً يُرَ به، والدهر لا يُغْتَرُّ به، عَيْنٌ عَرَفت فَذَرَفت[103]. في كل خِبْرَةٍ عِبْرَة، من مَأْمَنِه يُؤتى الْحذِر. لا يَعْدُو المرءُ رزقَه وإن حَرِصَ. إذا نزل الْقدر عَمِيَ البصر، وإذا نزل الْحَيْن نزل بين الأذن والعين[104]. الخمر مفتاح كل شر. الْغِناءُ رُقْيَةُ الزناء[105]. القناعة مال لا يَنْفَد. خير الغنَى غِنَى النفس. منساقٌ إلى ما أنت لاقٍ. خذ من العافية ما أُعطيت. ما الإنسان إلا القلبُ واللسَان. إنما لك ما أمضيتَ. لا تتكلَّفْ ما كُفِيتَ. القلم أحد اللسانين. قلة الْعِيَال أحد الْيَسَارَين، ربما ضاقت الدنيا باثنين. لن تَعْدَمَ الحسناءُ ذَاماً[106]. لم يَعْدَم الغاوى لائمَاً. لاَتَكُ في أهلك كالْجنَازة[107]. لا تَسْخَرْ من شيء فيجوزَ بك. أخِّر الشر فإذا شئت تعجَّلْته. صغير الشر يوشكُ أن يكبُر. يبصر القلب ما يعمَى عنهُ البصر. الحُرُّ حُرٌّ وإن مَسَّهُ الضُّرّ. العبد عبدٌ وإن ساعَدَه جَدّ[108]. من عَرَف قَدْره استبان أمرَه. من سرَّه بنوه ساءَته نفسهُ. من تعظَّمَ على الزمان أَهَانهُ. من تعرَّض للسلطان آذاه، ومن تطامن له تخطّاه. من خَطا يَخْطُو[109]. كل مبذول مَمْلول. كل ممنوع مرغوبٌ فيه. كل عزيزٍ تحت القدرة دليلٌ. لِكُلِّ مقام مقال. لِكُلِّ زمان رجال. لِكُلِّ أجل كتابٌ. لِكُلِّ عمل ثوابٌ. لِكُلِّ نبأ مستقرّ. لِكُلِّ سرٍّ مستودع. قيمة كل إنسان ما يُحْسِن. اطلب لِكُلِّ غَلَق[110] مفتاحاً. أكْثِرْ في الباطل يكن حقّاً. عند الْقَنَط[111] يأتي الفرج. عند الصباح يُحْمَد السُّرَى[112]. الصدق مَنْجَاة، والكذب مَهْوَاة. الاعتراف يهدم الاقتراف. ربَّ قول أنفذُ من صَوْل. رب ساعة ليس بها طاعة. رب عَجَلَةٍ تُعْقِبُ رَيثًا[113]. بعض الكلام أقطعُ من الحسام. بعض الجهل أبلغ من الْحِلْم. ربيع القلب ما اشتهى. الهَوَى شديد العمى. الهوى الإله المعبود. الرأى نائم، والهوى يقظان. غلب عليك من دعا إليك. لا راحة لحسود ولا وفاء. لا سرورَ كَطِيب النَّفْس. العمر أقصر من أن يحتمل الْهَجْر. أحق الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة. خير العلم مَا نَفَع. خير القول مَا اتُّبِعَ. الْبِطْنة[114] تُذهب الْفِطْنة. شر العمى عمى القلب. أوثق العُرَى كلمة التقوى[115]. النساءُ حبائل الشيطان. الشباب شُعْبة من الجنون. الشقى من شَقِيَ في بطن أمه. السعيد من وُعِظَ بغيره. لِكُلِّ امرئ في بدنه شُغْل. من يَعْرِفِ البلاء يَصْبِرْ عليه. المقادير تُريكَ مالا يخْطرُ ببالك. أفضلُ الزَّادِ ما تُزُوِّدَ للمَعَاد. الْفَحْل أحْمَى للشَّوْل[116]. صاحبُ الْحُظوة غداً، من بلغ المَدَى. عواقب الصبر محمودة. لا تُبْلَغ الغاياتُ بالأمانيّ. الصَّريمة[117] على قدر العزيمة. الضيفُ يُثنى أو يَذُم من تفكَّر اعتبر. كم شَاهِدٍ لكَ لا ينطق. ليسَ منكَ مَنْ غشَّك. ما نظرَ لأمرئٍ مثلُ نفسه. ما سدَّ فقرَك إلا ملكُ يمينك. ما على عاقلٍ ضيعةٌ. الغنى في الْغُربة وطَن. المُقِلُّ في أهلِهِ غريب، أَوَّلُ المعرفة الاختبار: يَدُكَ منك وإن كانت شلأَّءَ. أنفُكَ منك وإنْ كان أجْدَعَ[118].

من عُرِفَ بالكذب جاز صدقه[119]. الصحَّةُ داعيةُ السَّقَم. الشبابُ داعيةُ الهَرَم. كثرة الصيَّاح من الْفَشَل. إذا قَدُمَت المصيبة تُركت التعزية. إذا قَدُم الإخاءُ سَمُجَ الثناء. العادةُ أملكُ من الأدب. الرفقُ يُمن والْخُرقُ شؤم. المرأةُ رَيْحانة وليست بقَهْرَ مانَة[120]. الدالّ على الخير كفاعله. المحاجزةُ قبل المناجزة. قبلَ الرِّماية تُملأُ الكنائن. لِكُلِّ ساقطةٍ لاقطةٌ. مَقْتَلُ الرجل بين فكَّيه. تَرْكُ الحركة غفلة. الصمتُ حُبْسَة. مَنْ خُيِّر خَبَرَ. إن تَسْمَع تُمْطَر[121]. كفى بالمرء خِيانةً أنْ يكونَ أميناً للخَوَنة. قَيِّدوا النِّعَم بالشكر. منْ يزرعُ المعروفَ يحصدُ الشكرَ. لا تغترَّ بمودَّة الأمير إذا غشَّكَ الوَزير. أعظمْ من المصيبة سوءُ الخلف منها. منْ أرادَ البقاءَ فليوطِّن نفسهُ على المصائب. لقاءُ الأحبَّة مَسْلاَة للهمِّ. قطيعةُ الجاهل كصلة العاقل. من رضى على نفسه كثُر الساخط عليه. قتلت أرضٌ جاهلَهَا، وقتل أرضاً عارفُهَا. أدوأ الداء الخلقُ الدنيُّ، واللسَانُ البَذِيَ. إذا جعلك السلطان أخاً فاجعله ربّاً. احذر الأمين ولا تأمَنِ الخائن. عند الغاية يُعْرف السَّبْقُ. عند الرِّهان يُحْمدُ المضمار. السؤالُ وإنْ قَلَّ، أكثرُ من النوال وإن جَلَّ. كافئ المعروف بمثله أو انشُره. لا خُلَّةَ[122] مَعَ عَيْلَة. لا مروءة مع ضُرّ، ولا صبر مع شكوى.

ليسَ من العدْلِ، سرعة العَذْل[123]. عبدُ غيرك حُرٌّ مثلك. لا يَعْجَم الْخِيَارَ، من استشار. الوضيعُ من وضعَ نفسه. المَهينُ من نَزَل وحدَه من أكثر أهجر[124]. كفى بالمرء كذباً أن يحدِّث بكل ما سمع».

(العقد الفريد 1: 272)





ومن أمثال أكثم بن صيفي أيضاً:

«في الجريرة تَشْتَرِك العشيرة[125]. إذا قُرِعَ الفؤاد ذهب الرُّقاد. هل يُهلِكني فقدُ ما لا يعود؟ أعوذ بالله أن يَرميني امرؤ بدائه. رُبَّ كلام ليس فيه اكتتام. حافظ على الصديق، ولو في الحريق. ليس بيسير تقويم العسير. إذا أردت النصيحة فتأهب للظِّنَّة. متى تعالج مال غيرك تَسْأَم. غَثُّكَ خير من سمين غيرك. لا تَنْطَحُ جَمَّاء[126] ذَاتَ قَرْن. قد يُبْلَغ الخَضْم بالْقَضْم[127]. قد صَدَعَ الْفِرَاقُ، بين الرِّفاق. اسْتَأْنُوا[128] أخاكم، فإن مع اليوم غداً. الْحرُّ عَزُوف[129]. لا تطمع في كل ما تسمع».

(جمهرة أمثال 2: 103)

# السّلم أَرْخَى للبَال

## نصيحة الجمانة بنت قيس بن زهير لجدها الربيع بن زياد

كان قيس بن زُهَيْر الْعَبْسِي قد اشترى من مكةدِرْعاً حَسَنَةً، تسمى ذات الفُضُول، وَوَرَدَ بها إلى قومه، فرآها عمه الربيع بن زياد، وكان سيد بنى عَبْس، فأخذها منه غَصْبا، فقالت الجُمَانة بنت قيس لأبيها: دعنى أنَاظِرْ جَدِّى، فإن صَلُح الأمر بينكما، وإلاَّ كنتُ من وراء رأيك، فأذِن لَها، فأتت الربيع فقالت:

«إذا كان قيسٌ أبى، فإنك يا ربيعُ جَدِّى، وما يجب له من حق الأُبُوَّةِ عَلَيَّ، إلا كالذي يجب عليك من حَق البُنُوَّةِ لى، والرأىُ الصحيحُ تَبْعَثه العِنَايةُ، وتُجَلِّى عن مَحْضِهِ النصيحةُ، إنك قد ظلمتَ قيساً بأخذ دِرعه، وأَجِدُ مكافأته إياك سوءُ عزمه، والمُعَارِضُ منتصرٌ، والبَادِى أظْلَم، وليس قيسٌ مِمَّنْ يُخَوَّفُ بالوعيد، ولا يَرْدَعُه التهديدُ، فلا تركَنَنَّ إلى منَابَذَتِه، فالحزمُ في مُتَارَكَته، والحربُ مَتْلَفَةٌ للعبَاد، ذَهَّابَةٌ بالطَّارف والتِّلاد، والسِّلم أَرْخَى للبَال، وَأَبقَى لأنْفُسِ الرجال، وبحقٍ أقول: لقد صَدَعْتُ بِحُكْمٍ، وما يدفعُ قولى إلا غيرُ ذى فَهْم».

(بلاغات النساء ص 125)

# و لها ظهر كالجدول..

## وصف عصام الكندية لأم إياس بنت عوف بن محلم الشيباني

لما بلغ الحارثَ بن عمرو ملك كنْدَة جمالُ أُمّ إياس بنت عوف بن مُحَلِّم الشَّيْبانى، وكمالُها وقوَّة عقلِهَا، أراد أن يتزوجها، فدعا امرأة من كندة، يقال لَهَا عِصَام، ذات عقل ولسَان، وأدب وبيَان، وقال لها: اذهبي حتى تعلمى لى علم ابنة عوف، فمضت حتى انتهت إلى أمِّهَا أُمَامة بنت الحارث، فأعلمتهَا ما قدمت له، فأرسلت أمامة إلى ابنهَا وقالت: أي بُنَيَّة، هذه خالتك أتت إليك لتنظر إلىبعض شأنِك، فلا تَسْتُرى عنها شيئاً أرادت النظر إليهِ، من وجه وخلق، وناطقيهَا فيما اسْتَنْطَقَتْكِ فيهِ، فدخلت عصَام عليهَا، فنظرت إلى ما لم تَرَ عَيْنُهَا مثلَهُ قَطُّ بهجةً وحسناً وجمالاً، فإذا هي أكمل الناس عقلا، وأفصحهم لسَاناً، فخرجت من عندها وهيَ تقول: (تَرَكَ الْخِدَاعَ مَنْ كَشَفَ القِنَاعَ) فذهبت مثلاً، ثم أقبلت إلى الحارث فقَال لها: (ما وراءكِ يا عِصَامُ)؟ فأرسلها مثلا، قالت: (صَرَّحَ المَخْضُ عن الزُّبْد[130])، فذهبت مثلا. قال أخبريني، قالت:

«أُخبرك صدقاً وحقاً: «رأيت جَبْهَة كالمرآة الصَّقِيلة، يَزِينهَا شَعْر حَالِكٌ، كأذناب الخيل المضفورة[131]، إنْ أرْسَلَتْه خِلْتَه السلاسلَ، وإن مَشَطَتْه قلت عنها قيدُ كَرْم جَلاَهَا الْوَابلُ[132]، وحاجبين كأنهما خُطا بقَلم، أو سُوِّداً بِحُمَم[133] قد تقوّسا على عينى الظَّبية الْعَبْهَرَة[134] التي لم يَرُعْها قانص، ولم يُذْعِرها قَسْورة[135]، بينهما أنف كَحَدّ السيف المصقول[136]، لم تجْنس به[137] قِصَر، ولم يَمْض[138] به طول، حَفَّتْ به وَجْنَتَان كالأُرْجُوَان[139]، في بياض مَحْض كالجُمَان[140]، شُقَّ فيه فم كالخاتَم، لذيذ المُبْتَسَم، فيه ثَنَايا غُرٌّ، ذوات أُشُر[141]، وأسنَانٌ تبدو كالدُّرر، وريق كالخمر له نَشْرُ الرَّوض بالسَّحَر، يتقلب فيه لسانٌ ذو فصاحة وبيان، يحرِّكه عقلٌ وافر، وَجَوَابٌ حاضر، تلتقى دونه شَفَتان حمراوان كالورد، يَجْلِبان ريقا كالشَّهْد، تحت ذلك عنق كإبريق الفِضَّة، رُكِّبَ في صدر كصدر تِمْثال دُمْية[142]، يتصل بها عَضُدان ممتلئَان لحماً، مُكْتَنزَان[143] شَحْماً، وذراعان ليس فيهما عظمٌ يُحَسُّ، ولا عِرْق يُجَسُّ، رُكِّبَت فيهما كَفَّان، دقيقٌ قَصَبُهُما، ليِّنٌ عَصَبُهما، تُعْقَدُ إن شئت منهما الأنامل، وَتُرَكَّبُ الفصوصُ، في حُفر المفاصل، وقد تربَّعَ في صدرها حُقَّان، كأنهما رُمَّانتان، يَخْرِقان عليها ثِيَابَها، تحت ذلك بطنٌ طُوِى كَطَىِّ القُبَاطى[144] المُدْمَجَة، كُسِيَ عُكَناً[145] كالقراطيس المُدْرَجَة[146] تحيط تلك الْعُكَنُ بسُرَّة كَمُدْهُن[147] العاج المَجْلق، خلف ذلك ظهرٌ كالجدْوَل، ينتهى إلى خَصْر، لولا رحمةُ الله لانْبَتَر، تحته كَفَلٌ[148] يُقْعِدها إذا نهضت، وَيُنْهِضها إذا قعدت، كأنه دِعْصُ[149] رمل، لَبَدَه سقوط الطَّلِّ، يحمله فخذَان لَفَّاوَان[150] كأنهما نَضِيد الجُمان، تحتهما ساقان، خَدْلَتان[151] كالبَرْدِىّ، وُشِّيتا بشعر أسود، كأنه حِلَق الزَّرَد، يحمل ذلك قَدَمان، كَحَذْو اللسان، فتبارك الله مع صغرهما كيف تطيقان حَمْلَ ما فوقهما، فأما ما سوى ذلك فتركت أن أصفَه، غير أنه أحسن ما وصفهُ واصف بنظم أو نثر»، فأرسل الملك إلى أبيها فخطبها، فزوَّجَهُ إياها[152].

(العقد الفريد 3: 235، ومجمع الأمثال 2: 143، وجمهرة الأمثال 2: 27)

# أدب الزواج..!

## وصية أمامة بنت الحارث لابنتها أم إياس

فلما حُملت إلى زوجها قالت لها أمها أُمامة بنت الحارث:

«أي بنيةُ: إن الوصية لو تُركَتْ لفضل أدب، تُركتْ لذلك منكِ، ولكنها تذكرَة للغافل، ومَعُونة للعاقل، ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لِغِنَى أبويها، وشدة حاجتهما إليها، كنتِ أغنى الناس عنه، ولكن النساء للرجال خُلقن، ولهن خُلِق الرجال.

أي بنية: إنك فارقتِ الجوَّ الذي منه خَرجتِ، وخَلَّفتِ الْعُشَّ الذي فيه دَرَجْتِ، إلى وَكْرٍ لم تعرفيه، وقرين لم تألَفيه، فأصبح بمِلكه[153] عليك رقيباً ومليكاً، فكوني له أمَةً يكن لك عبداً وشيكاً[154]. يا بنية: احملى عنى عشر خصال تكن لك ذُخْراً وذِكراً: الصحبةُ بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة، والتعهد لموقع عينه، والتفقّد لموضع أنفه، فلا تقَع عينهُ منك على قبيح، ولا يَشَمّ منك إلا أطيبَ ريح، والكحل أحسن الحسْن، والماء أطيب الطِّيب المفقود، والتعهد لوقت طعامه، والهُدوّ عنهُ عندَ منامه، فإنَّ حرارة الجوع مَلْهَبَة، وتنغيص النوم مَغْضَبَة، والاحتفاظ ببيته وماله، والإرعاء على نفسه وَحَشَمِه وعياله، فإنَّ الاحتفاظ بالمالِ حسنُ التقدير، والإرعاء على العيال والحشم جميلُ حسنِ التدبير، ولا تفشى لهُ سرّاً، ولا تَعصِى له أمراً، فإنَّكِ إن أفشيت سرَّه، لم تأمَنِى غَدرَه، وإن عَصَيْتِ أمرَه، أوغَرْتِ صدرَه، ثمَّ انقى من ذلك الفَرَحَ إن كان تَرِحا، والاكتئابَ عنده إنْ كان فَرِحا، فإنَّ الخَصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير، وكونى أشدَّ ما تكونينَ لهُ إعظاماً، يكن أشدَّ ما يكون لك إكراماً، وأشَدَّ ما تكونين له موافقة، يكنْ أطوَلَ ما تكونين له مُرَافَقةً، واعلمى أنَّكِ لا تصلين إلى ما تحبين، حتى تُؤثِرِى رضاهُ على رضاكِ، وهواهُ على هواكِ فيما أحببت وكَرِهتِ، والله يَخِير لك».

(مجمع الأمثال 2: 143، والعقد الفريد 3: 223)

# حذار من الهاوية..!

## إصلاح مرثد الخير

كان مَرْثَد الخير بن يَنْكَفَ قَيْلا، وكان حَدِباً على عشيرته، محباً لصلاحهم، وكان سُبَيع بن الحرث[155] ومِيثَم بن مَثْوَب بن ذى رُعَين تنازعا الشرف، حتى تشاحنا، وخيف أن يقع بين حييهما شرٌّ، فيتفانى جِذماهما[156]، فبعث إليها مَرْثَد، فأحضرهما ليصلح بينهما، فقال لهما:

إنَّ التَّخَبُّطَ[157] وَامْتِطَاءَ الْهَجَاجِ[158]، وَاسْتِحْقَابَ[159] اللَّجَاج، سَيَقِفُكُمَا عَلَى شَفَا هُوَّةٍ، في تَوَرُّدِهَا[160] بَوَارُ الأَصِيلَةِ،[161] وانْقِطَاعُ الْوَسِيلَةِ، فَتَلاَفَيَا أمْرَ كُمَا قَبْلَ انْتِكاثِ[162] الْعَهْدِ، وَانْحِلاَلِ الْعَقْدِ، وَتَشَتُّتِ الأُلْفَةِ، وَتَبَايُنِ السُّهْمَةِ[163]، وَأَنْتُما في فُسْحَةٍ رَافِهَةٍ[164]، وَقَدَمٍ وَاطِدَةٍ[165]، وَالمَوَدَّةُ مُثْرِيَةٌ[166]، وَالبُقْيَا مُعْرِضَةٌ[167]، فَقَدْ عَرَفْتُمْ أَنْبَاءَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْعَرَبِ: مِمَّنْ عَصَى النَّصِيحَ، وَخَالَفَ الرَّشِيدَ، وَأَصْغَى إلى التَّقَاطُعِ، وَرَأَيْتُمْ مَا آلَتْ إِلَيْهِ عَوَاقِبُ سُوءِ سَعْيِهِمْ، وَكَيْفَ كانَ صَيُّورُ[168] أُمورِهِمْ، فَتَلاَفَوْا الْقُرْحَةَ[169] قَبْلَ تَفَاقُمِ الثَّأى[170]، وَاسْتِفْحَالِ[171] الدَّاءِ، وَإذَا اسْتَحْكَمَتِ الشَّحْنَاءُ، تَقَضَّبَتْ[172] عُرَى الإِبْقَاءِ، وَشَمِلَ[173] الْبَلاَءَ.

## الهوامش

[1] العذق: النخلة بحملها والعذق (بكسر العين) القنو منها.

[2] النواة.

[3] الوثيمة: الحجارة، وثمة: كسرة ودقة. ووثم الفرس الأرض: رجمها بحوافره. ومن إيمان العرب لا والذي أخرج العذق من الجريمة. والنار من الوثيمة. وقولهم: لا والذي شقهن خمساً من واحدة يعنون الأصابع، وقولهم: لا والذي أخرج العذق من الجريمة. والنار من الوثيمة، وقولهم: لا والذي شقهن خمساً من واحدة يعنون الأصابع، وقولهم: لا والذي أخرج قائبة من قوب يعنون فرخاً من بيضة. لا والذي وجهي زمم بيته (بالتحريك) أي قصده وحذاءه.

[4] شجعانا: جمع باسل.

[5] المستقصى، اشتف ما في الإناء شربه كله. واشتف إذا شرب الشفافة (بالضم)، وهي البقية تبقى في الإناء.

[6] الأخذ بعجلة، ومنه سمى القفاف وهو من يسرق الدراهم بين أصابعه.

[7] أمر أمراً وأمرة: كثر وتم فهو أمر وأمره الله وأمره كنصره كثره: (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها). أي كثرنا.

[8] ينحسر: ينكشف.

[9] عزه يعزه كنصره. [10] المتناهي في الدناءة واللؤم.

[11] الهبيت: الأحمق الضعيف.

[12] حضرة الموت.

[13] أي في وقت الصريخ وهو نداء المستغيث.

[14] أهذر: هذي.

[15] لم يرض.

[16] بكأت الناقة بكئا قل لبنها.

[17] باره: جربه.

[18] الهتر بالضم: ذهاب العقل من كبر أو مرض أو حزن وقد أهتر فهو مهبر بفتح التاء شاذ، وقيل أهتر بالبناء للمجهول.

[19] الخلة: الصداقة المخصة لا خلل فيها تكون في عفاف (والخلة أيضاً الصديق للذكر والأنثى والواحد والجميع).

[20] الكنة: امرأة الابن أو الأخ جمعه كنائن.

[21] بزه: سلبه، وفي المثل: من عزيز، أي من غلب سلب.

[22] الحمقاء: من وره كفرح: حمق فهو أوره.

[23] ضعف الرأي والعقل.

[24] الرعة: الطريقة.

[25] أي من رأى يوماً على عدوه رأى مثله على نفسه.

[26] الذمامة بالفتح، والذمة: ألعهد، والكفالة: والحق، والحرمة.

[27] اليد العليا المعطية؛ والسفلى: السائلة، وفي الحديث: «اليد العليا خير من اليد السفلى»؛ وهو حث على الصداقة.

[28] القود: القصاص.

[29] هو دويد بن زيد بن نهد الحميري، وكان من المعمرين. قيل عاش أربعمائة وستا وخمسين سنة، (قالوا: ولا يعد العرب معمراً إلا من عاش مائة وعشرين سنة فصاعداً).

[30] أقال الله عثرته: رفعه من سقوطه.

[31] الطعن في الجوانب يميناً وشمالاً.

[32] هبر اللحم: قطعه قطعاً كباراً، والهبرة (بالفتح) القطعة المجتمعة منه وضرب هبر وهبير هابر: أي يقطع اللحم.

[33] الطبع محركة: البنس.

[34] الوهن الضعف، والخراعة: (كنباهة) اللين والرخاوة خرع: ككرم، وخرع كفرح ضعف وانكسر، فهو خرع، وخريع.

[35] قال الميداني في مجمع الأمثال «1 : 6»: «هذا مثل تخبط في تفسيره كثير من الناس، قال بعضهم: إنما يحتاج إلى الوصية من يسهو ويغفل. فأما أنت فغير محتاج إليها لأنك لا تسهو، وقال بعضهم يريد بقوله بنو سهوان جميع الناس لأن كلهم يسهو، والأصوب في معناه أن يقال: «إن الذين يوصون بالشيء يستولي عليهم السهو حتى كأنه موكل بهم؛ يضرب لمن يسهو عن طلب شيء أمر به، والسهوان، السهو، ويجوز أن يكون صفة أي بنو رجل سهوان، وهم آدم عليه السلام حين عهد إليه فسها ونسى، يقال رجل سهوان وساه، أي إن الذين يوصون لا بد أن يسهوا لأنهم بنو آدم عليه السلام».

[36] أرحبه: وسعه.

[37] الرحب: بالضم مصدر؛ وبالفتح وصف.

[38] أي راحِة، أو هو بالضم أي وما ذاك بمرجع إلى روحي.

[39] الغيل: الساعد الريان الممتلئ.

[40] المعصم: موضع السوار أو اليد، وهو المراد هنا.

[41] هو زهير بن جناب بن هبل الكلبي، قيل عاش مائتين وعشرين سنة، وقيل مائتين وخمسين، وقيل أربعمائة وخمسين، وكان يدعى الكاهن لصحة رأيه.

[42] الحرس من الدهر: الطويل، وحرس: كسمع عاش زماناً طويلاً.

[43] الغرض: الهدف، وتعاوره (تتعاوره) أي تتداوله.

[44] عفا الأثر: درس وامحي.

[45] أي طلاب الثار.

[46] الطارف والطريف: المال المستحدث، والتالد، والتليد، والتلاد، والمتلد: المال القديم الأصلي الذي ولد عندك.

[47] التلاحي: التنازع، ولاحاه ملاحاة ولحاء نازعه.

[48] اختبر.

[49] أي تجعله جداً؛ والجد (بالكسر) ضد الهزل.

[50] الغريم: المدين (وهو الدائن أيضاً).

[51] معناه العطش الشاق خير من ري يفضح صاحبه، وقمح البعير قموحاً: رفع رأسه عند الحوض وامتنع من الشرب فهو قامح، وقمح البعير: اشتد عطشته حتى فتر شديداً.

[52] هو صاحب حرب داحس والغبراء، وكان من قصته أنه تراهن هو وحذيفة بن بدر سيد بني ذبيان على فرسيهما داحس (فرس قيس) والغبراء (فرس حذيفة)- وقيل إنهما تراهنا على داحس والغبراء فرس قيس، والخطار والحنفاء فرسي حذيفة – وتواضعا الرهان على مائة بعير، ثم قادوهما إلى رأس الميدان، وفي طرف الغابة شعاب كثيرة، فأكمن حمل بن بدر في تلك الشعاب فتياناً على طريق الفرسين، وأمرهم إن جاء داحس سابقاً أن يردوا وجهه عن الغابة، فأرسلوهما فأحضروا، فلما شارف داحس الغابة ودنا من الفتية، وثبوا في وجهه فردوه عنها؛ وعلم قيس بذلك؛ وبعث حذيفة بن بدر ابنه مالكاً إلى قيس يطلب منه حق السبق؛ فقال قيس كلا لأمطلنك به، فنال ابن حذيفة من عرض قيس وشتمه وأغلظ له؛ وكان إلى جنب قيس رمح فطعنه به فدق صلبه، واجتمع الحيان وأدوا دية المقتول، وأخذها حذيفة دفعاً للشر، ثم إن قومه ندموه فعاد الشر بينهم، وقامت الفتن بين الحيين، وعدا حذيفة على مالك بن زهير أخي قيس فقتله؛ وكان الربيع بن زياد عمهما معتزل الحرب، فلما سمع بمقتل ابن أخيه مالك شق ذلك عليه وقاتل بني ذبيان، ثم توالت أيام الحروب بينهم، وكان أعظمها يوم الهباءة حتى أصلح بينهم الحرث بن عوف وهرم بن سنان المريان؛ وحملا ديات القتل ثلاث آلاف بعير.

[53] وسبب مقتل زهير بن جذيمة العبسي أبي قيس، أن هوازن بن منصور كانت تؤتي الاتاوة زهير ابن جذيمة – ولم تكثر عامر بن صعصعة بعد – فأتت عجوز من هوازن إلى زهير بسمن في نحي (النحي كحمل الزق، أو ما كان للسمن خاصة) فاعتذرت إليه؛ وشكلت السنين اللواتي تتابعن على الناس «فذاقه فلم يرضَ طعمه، فدعها أي دفعها بقوس في يده فسقطت فبدت عورتها، فغضبت من ذلك هوازن وحقدته إلى ما كان في صدرها من الغيظ، وكانت يومئذ قد كثرت بنو عامر بن صعصعة فثاروا إليه فقاتلوه حتى قتلوه.»

[54] وكان حذيفة بن بدر وأخوه نزلا مع أصحابهما في جفر الهباءة، فاتبعهم قيس ومن معه حتى أدركهم فيه، وقد أرسلوا خيولهم ونزعوا سلاحهم (وكان حذيفة قد أخذ غلامين من بني عبس، فقتلهما وهما يستغيثان يا أبتاه حتى ماتا) فشد قيس والربيع ومن معهما عليهم، وهم ينادون لبيكم لبيكم، يعني أنهم يجيبون نداء الصبية لما قتلوا ينادون يا أبتاه، فناشدوهم الله والرحم، فلم يقبلوا منهم، وقتلوا حذيفة وحملا أخاه، ومثلوا بحذيفة فقطعوا مذاكيره وجعلوها في فيه وجعلوا لسانه في استه، وأسرف قيس في النكاية والقتل، وكانت فزارة تسمى هذه الوقعة البوار، ولكن قيساً ندم بعد ذلك ورثى حمل بن بدر، وهو أول من رثى مقتوله.

[55] الصدر: الرجوع.

[56] ربع: كمنع انتظر وتحبس، وربع الحبل فتلته من أربع طاقات. والمعنى إذا حادثتم فتأنوا وتمهلوا، أو فاحكموا القول.

[57] العيون: جمع عين، وهي خيار كل شيء.

[58] الصباح الغارة: أي ولا تسرحوا مقاتلتكم حتى تأمنوا الغارة.

[59] قرى الضيف يقريه قرى: أحسن إليه، والقرى أيضاً ما قرى به الضيف.

[60] هكذا روى أبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال: وذكر الميداني أن أكثم وصى بها بنيه حين جمعهم، والرواية الأولى أطول بكثير من الثانية، وقد جُمع بين الروايتين.

[61] للناقة شطران: قادمان وآخران، فكل خلفين من أخلافها شطر (والخلف بالكسر لها كالضرع للبقر) وأشطره بدل من الدهر؛ والمعنى أنه اختبر شطري الدهر خيره وشره فعرف ما فيه، وهو مثل يضرب فيمن جرب الدهر.

[62] ذرفت عينه كضرب: سال دمعها، وذرفت العين دمعها أسالته؛ وهو مثل يضرب لمن رأى الأمر فعرف حقيقته.

[63] ساماه: باراه في السمو.

[64] يزيد، وفي مجمع الأمثال «يبقي».

[65] أي أبقى للقوة، من جم الفرس جماماً (بالفتح) ترك الضراب فتجمع ماؤه، وجم المساء يجم بضم الجيم وكسرها جم، ما كثر واجتمع، والبئر تراجع ماؤها؛ والجمام بالفتح أيضاً: الراحة.

[66] يحزن.

[67] أي ففكر في التقدم قبل أن تندم.

[68] االأعلام جمع علم: وهو سيد القوم.

[69] الأفن: ضعف الرأي والعقل، وفي الأصل أمن وهو تحريف.

[70] اتقعقع: اضطرب وتحرك. وفي الأصل عنده بدل عمده وهو تحريف، وهذا مثل. معناه لا بد من الافتراق بعد الاجتماع، أو معناه إذا اجتمع القوم وتقاربوا وقع بينهم الشر فتفرقوا، أو من غبط بكثرة العدد واتساق الأمر فهو بمعرض الزوال والانتشار.

[71] أي أن يهبنكم ويوقرنكم، وفي الأصل «المهانة» وهو تصحيف.

[72] الشريفة.

[73] الحاطب: الذي يجمع الحطب؛ وهو حاطب ليل: أي مخلط في كلامه.

[74] أسقط كلمة؛ وأسقط في كلمة أي أخطأ.

[75] عاقدوا: حالفوا، والثروة؛ كثرة العدد من الناس.

[76] يقال هم وشيظة في قومهم أي حشو فيهم.

[77] جابة بمعنى إجابة، اسم وضع موضع المصدر، ومثلها الطاعة والطاقة والغارة والعارة. قال المفضل: أول من قال ذلك سهيل بن عمرو، وكان تزوج صفية بنت أبي جهل بن أبي هشام، فولدت له أنس بن سهيل، فخرج معه ذات يوم؛ فوقف بحزورة مكة (والحزورة كقسورة: الرابية الصغيرة) فأقبل الأخنس بن شريق الثقفي، فقال: من هذا؟ قال سهيل: ابني؛ قال الأخنس: حياك الله يا فتى! قال: لا، والله ما أمي في البيت، انطلقت إلى أم حنظلة تطحن دقيقاً، فقال أبوه: أساء سمعاً فأساء جابه فأرسلها مثلاً.

[78] أي لا تعيش بسبب ثدييها وبما يغلان عليها من أجرة الإرضاع، يضرب في صيانة الرجل نفسه عن خسيس المكاسب، وذكروا أن أول من قاله الحارث بن سليل الأسدي، وكان شيخاً كبيراً وكان حليفاً لعلقمة بن خصفة الطائي، فزاره فنظر إلى ابنته الزباء، وكانت من أجمل أهل دهرها فأعجب بها، فقال له: أتيتك خاطباً، وقد ينكح الخاطب، ويدرك الطالب، ويمنح الراغب، فقال له علقمة: أنت كفء كريم يقبل منك الصفو، ويؤخذ منك العفو، فأقم ننظر في أمرك؛ ثم انكفأ إلى أمها فقال إن الحارث بن سليل سيد قومه حسباً ومنصباً وبيتاً، وقد خطب إلينا الزباء، فلا ينصرفن إلا بحاجته فقالت امرأته لابنتها: أي الرجال أحب إليك؟ الكهل الجحجاح (أي السيد)، الواصل المناح، أم الفتى الوضاح؟ قالت، لا بل الفتى الوضاح، قالت: إن الفتى يغيرك، وإن الشيخ يميرك، وليس الكهل الفاضل، الكثير النائل، كالحديث السن، الكثير المن، قالت: يا أمتاه، إن الفتاة تحب الفتى كحب الرعاء أنيق الكلا، قالت: أي بنية، إن الفتى شديد الحجاب، كثير العتاب، قالت إن الشيخ يبلى شبابي، ويدنس ثيابي، ويشمت بي أترابي، فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها، فتزوجها الحرث على مائة وخمسين من الإبل وخادم وألف درهم، فابتنى بها ثم رحل بها إلى قومه، فبينا هو ذات يوم جالس بفناء قومه وهي إلى جانبه إذ أقبل إليه شباب من بني أسد يعتجلون، (أي يتصارعون ويتقاتلون) فتنفست الصعداء ثم أرخت عينيها بالبكاء، فقال لها: ما يبكيك؟ قالت: مالي وللشيوخ، الناهضين كالفروخ؛ فقال لها ثكلتك أمك تجوع الحُرّة ولا تأكل بثدييها، الحقي بأهلك فلا حاجة لي فيك.

[79] يقال: ضرى الكلب بالصيد (كفرح) ضراوة أي تعود، وكلب ضار؛ وأضراه صاحبه عوده وأضراه به: أغراه، وضراه أيضاً تضرية.

[80] التهمة.

[81] أبرمة: أضجره وأمله.

[82] فسل فسولة فهو فسل: أي رذل لا مروءة له، والوزراء: جمع وزير وهو النصير والظهير.

[83] في الأصل «يملك» وأرى صوابه يمل.

[84] الغرر: الخطر، غرر بنفسه تغريراً: عرضها للهلكة والاسم الغرر.

[85] يريد مهرها.

[86] رقأ الدم: جف وسكن، والرقوء كصبور ما يوضع على الدم ليرقئه، والمعنى أنها تعطي في الديات فتحقن بها الدماء.

[87] التحفة: البر واللطف والطرفة، وقد أتحفته تحفة.

[88] العدم بالضم وبضمتين وبالتحريك الفقدان وغلب على فقدان المال.

[89] القسم: القدر.





[90] وفي رواية: «العادة أملك من الأدب».

[91] الرماء مصدر رامي كالمراماة، والكنائن جمع كنانة: وهي جعبة السهام، وهو مثل معناه: تؤخذ للأمر أهبته قبل وقوعه، ومثله قولهم «قبل الرمي يراش السهم» أي يوضع له الريش.

[92] العدل: الاستقامة أي بقاء المودة في استقامة التعاهد والحرص على سلامة شروطه.

[93] ويروى تنتج الفاقة.

[94] الخيزوم: وسط الصدر وما يضم عليه الحزام.

[95] هكذا في العقد الفريد، وليس من الميسور تمييز أمثال أحدهما من أمثال الآخر إلا في القليل، على أنه قد ورد بينها أمثال لغير أكثم، (ولعله تمثل بها) وأخرى له قد وردت في ثنايا كلامه الذي أوردته آنفاً، ولسكني آثرت إيراد المقال برمته كما جاء في العقد، وبزرجمهر: مركب من بزرج معرف بزرك أي الكبير، ومهر أي الروح وهو بزر جمهر بن البختكان وزير كسرى أنو شروان ملك الفرس، وكان سديد الفكر، حصيف الرأي.

[96] المناسب والنسيب: القريب، من النسبة (بالكسر والضم) وهي: القرابة، وبينهما مناسبة أي مشاكلة، هذا يناسب ذاك أي يقاربه شبها.

[67] في الأصل «من صدق عينيه» وهو محرف، وأراه من صدق غيبه أو غيبته أي من صدق في مودته، وحفظ الأخاء، في الغيبة لافي المحضر فحسب.

[98] جيب القميص طوقه، وهو ناصح الجيب أي القلب كناية عن أنه خالص الطوية لا غش فيه.

[99] في الميداني: هذا المثل لهذيل بن هبيرة التغلبي، وكان أغار على بني ضبة فغنم فأقبل بالغنائم. فقال له أصحابه قسمها بيننا، فقال إني أخاف إن تشاغلتم بالاقتسام أن يدركم الطلب فأبوا، فعندها قال: «إذا عز أخوك فهن» ثم نزل فقسم بينهم الغنائم، ومعناها، مياسرتك صديقك ليست بضيم يركبك منه فتدخلك الحمية به، إنما هو حسن خلق وتفضل، فإذا عاسرك فياسره.

[100] قاله أبو حنش: وذلك أن رجلا من بني فزارة يقال له بيهس أخبر أن ناسا من أشجع في غار يشربون فيه – وكانوا قد قتلوا إخوته الستة ؟ فانطلق بخال له يسمى أبا حنش؛ فقال له هل لك في غار فيه ظباء لعلنا نصيب منها – ويروى: هل لك في غنيمة باردة ؟ ثم انطلق به حتى أقامه على فم الغار، ودفعه فيه فقال: ضربا أبا حنش، فقال بعضهم: إن أبا حنش لبطل، فقال أبو حنش: مكره أخاك لا بطل: فأرسلها مثلا.

[101] في الميداني: أول من قاله النابغة الذبياني حيث قال:

ولست بمستبق أخـا لا تلمه  على شعث، أي الرجـال المهذب؟

[102] الدين بالكسر: الجزاء دانه يدينه دينا بالفتح ويكسر، ومعنى المثل كما تجازي تجازى: أي كما تعمل تجازى، إن حسنا فحسن، وإن سيئا فسيي، وقوله تدين: أراد تعمل فسمى الابتداء جزاء المطابقة والموافقة، وعلى هذا قوله تعالى: (﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾. ويجوز أن يجرى كلاهما على الجزاء أي كما تجازى أنت الناس على صنيعهم كذلك تجازى على صنيعك.

[103] في الأصل «عين رفت» وهو تشويه، وصوابه «عين عرفت فذرفت».

[104] الحين: الهلاك، وقوله: نزل بين الأذن والعين أي بسمع ومر أي ممن نزل به لا مختفيا عنه.

[105] زنى يزنى زنى وزناء.

[106] الذام: والذيم العيب، قال الميداني: «وأول من تكلم بهذا المثل فيما زعم أهل الأخبار حبى بنت مالك بن عمرو العدوانية (وحبى: بضم الحاء، وتشديد الباء المفتوحة) وكانت من أجمل النساء، فسمع بجمالها ملك غسان فخطبها إلى أبيها، وحكمه في مهرها، وسأله تعجيلها، فلما عزم الأمر، قالت أمها لتباعها: إن لنا عند الملامسة رشحة فيها هنة، فإذا أردتن، إدخالها على زوجها، فطيبنها بما في أصدافها فلما كان الوقت أعجلهن زوجها، فأغفلن تطييبها، فلما أصبح قيل له: كيف وجدت أهلك: طروقتك، البارحة؟ فقال ما رأيت كالليلة قط لولا رويحة أنكرتها، فقالت هي من خلف الستر «لا تعدم الحسناء ذاما» فأرسلتها مثلا.»

[107] الجنازة بالكسر: الميت، ويفتح، أو بالكسر الميت؛ وبالفتح السرير، أو عكسه؛ أو بالكسر السرير مع الميت، والمراد هنا الميت، وهذا المثل والمثلان قبله في الأصل مشوهة مختلطة هكذا: «لن تعدم الحسناء ما لم يعدم الغاوي لا يمالأ بك في أهلك كالجنازة».

[108] الجد: الحظ.

[109] يريد: من حاول الخطو وعالجه استطاعه ومرن عليه، أي أن من أراد أمرا وتحيل له، وأخذ في معالجته وممارسته، تم له ما يبغي، وهو كقولهم: إنما العلم بالتعلم، «ورفع يخطو في المثل حسن لأن الشرط ماض».

[110] الغلق: القفل كالمغلاق.

[111] القنط والقنوط: اليأس.

[112] السرى: السير ليلا، ويروى «عند الصباح يحمد القوم السرى» وهو مثل يضرب للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة، وفي الميداني: «أن أول من قال ذلك خالد بن الوليد لما بعث إليه أبو بكر رضي الله عنهما وهو باليمامة أن سر إلى العراق، فأراد سلوك المفازة، فقال له رافع الطائي: قد سلكتها في الجاهلية، هي خمس للإبل الواردة (فلاة خمس بكسر الخاء: بعد وردها حتى يكون ورد النعم اليوم الرابع سوى اليوم الذي شربت فيه) ولا أظنك تقدر عليها إلا أن تحمل من الماء، فاشترى مائة شارف (الشارف الناقة المسنة) فعطشها ثم سقاها الماء حتى رويت، ثم سلك المفازة، حتى إذا مضى يومان وخالف العطش على الناس والخيل، وخشى أن يذهب ما في بطون الإبل نحر الإبل، واستخرج ما في بطونها من الماء، فسقى الناس والخيل ومضى، فلما كان في الليلة الرابعة. قال رافع: انظروا هل ترون سدرا عظاما (السدر بالكسر شجر النبق) فإن رأيتموها وإلا فهو الهلاك، فنظر الناس فرأوا السدر فأخبروه فكبر وكبر الناس، ثم هجموا على المساء فقال خالد رجزا منه «عند الصباح يحمد القوم السرى».

[113] الريث: الإبطاء ويروى تهب ريثا، وفي الميداني: «أن أول من قال ذلك مالك بن عوف ابن أبي عمرو بن عوف بن محلم الشيباني، وكان سنان بن مالك بن أبي عمرو بن عوف بن محلم شام غيما، فأراد أن يرحل بامرأته وهي أخت مالك بن عوف، فقال له مالك: أين تظعن يا أخي؟ قال: أطلب موقع هذه السحابة. قال: لا تفعل فإنه ربما خيلت، وليس فيها قطر، وأنا أخاف عليك فأبى، ومضى فعرض له مروان القرظ بن زنباع العبسي، فأعجله عنها وانطلق بها، وجعلها بين بناته وإخوته ولم يكشف لها سترا فقال مالك بن عوف لسنان: ما فعلت أختي؟ قال: نفتى عنها الرماح؛ فقال مالك: «رب عجلة تهب ريثا. ورب فروقة يدعى ليثا، ورب غيث لم يكن غيثا»، فأرسلها مثلا، يضرب للرجل يشتد حرصه هل حاجة، ويخرق فيها حتى تذهب كلها.

[114] البطنة: الامتلاء الشديد من الطعام.

[115] انظر خطبة عبد الله بن مسعود.

[116] الشول: جمع شائلة وهي من الإبل ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجف لبنها، وأحمى: أفعل من الحماية.

[117] الصريمة: قطع الأمر (والعزيمة).

[118] ويروى «منك أنفك وإن كان أجدع» وفي الميداني: «أول من قال ذلك قنفذ بن جعونة المازني لربيع بن كعب المازني. وذلك أن الربيع دفع فرسان كان قد أبر على الخيل (أي زاد) كرما وجودة إلى أخيه كميش ليأتي به أهله؛ وكان كميش أنوك مشهورا بالحمق، وكان رجل من بني مالك يقال له قراد ابن جرم قدم على أصحاب الفرس ليصيب منهم غرة فيأخذها، وكان داهية فمكث فيهم مقيما لا يعرفون نسبه ولا يظهره هو، فلما نظر إلى كميش راكبا الفرس ركب ناقته ثم عارضه، فقال يا كميش: هل لك في عانة لم أر مثلها سمنا ولا عظما (العانة: القطيع من حمر الوحش) وعير معها من ذهب؟ فأما الأتن (بضمتين جمع أتان) فتروح بها إلى أهلك فتملأ قدورهم، وتفرح صدورهم، وأما العير فلا افتقار بعده قاله له كميش: وكيف لنا به؟ قال: أنا لك به؛ وليس يدرك إلا على فرسك هذا، ولا يرى إلا بليل، ولا يراه غيرى، قال كميش: فدونكه؛ قال نعم وأمسك أنت راحلتى، فركب قراد الفرس وقال: انتظرني في هذا المكان إلى هذه الساعة من غد؛ قال: نعم ومضى قراد: فلم يزل كميش ينتظره حتى أمسى من غده وجاع، فلما لم ير له أثرا انصرف إلى أهله وقال في نفسه: إن سألنى أخى عن الفرس قلت تحول ناقة، فلما رآه أخوه الربيع عرف أنه خدع عن الفرس، فقال له: أين الفرس؟ قال: تحول ناقة؛ قال فما فعل السرج؟ قال: لم أذكر السرج فاطلب له علة، فصرعه الربيع ليقتله؛ فقال له قنفذ بن جعونة: لله عما فاتك، فإن أنفك منك وإن كان أجدع؛ فذهبت مثلا.

[119] في مجمع الأمثال (2: 571): «من عرف بالصدق جاز كذبه؛ ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه».

[120] القهرمان: هو كالخازن والوكيل المحافظ لما تحت يده؛ والقائم بأمور الرجل بلغة الفرس.

[121] أي إن تفتح أذنك للأقاويل تمطر وابلا منها.

[122] الخلة: الصداقة المختصة لا خلل فيها، والعيلة الفقر.

[123] اللوم.

[124] الإهجار: الافحاش وهو أن يأتي في كلامه بالفحش.

[125] مثل يضرب في الحث على المواساة.

[126] الجماء: الشاة بلا قرن مؤنث الأجم.

[127] القضم: الأكل بأطراف الأسنان، والخصم الأكل بأقصى الأضراس؛ ومعنى المثل: قد تدرك الغاية البعيدة بالرفق.

[128] انتظروا.

[129] من عزفت نفسه عنه: إذا زهدت فيه وانصرفت عنه أي راغب عن الدنايا.

[130] محض اللبن: أخذ زبده، والتصريح: تبيين الأمر، وهو مثل يضرب للأمر إذا انكشف وتبين.

[131] في الأصل «المقصورة» وهو تحريف وصوابه «المضفورة».

[132] المطر الشديد الضخم القطر.

[133] الحمم: الفحم.

[134] العبهرة والعبهر: الرقيقة البشرة الناصعة البياض، والسمينة الممتلئة الجسم.

[135] القسورة: الرماة من الصيادين، الواحد قسور.

[136] في مجمع الأمثال «الصنيع» وهو السيف الصقيل المجرب.

[137] خنس عنه كضرب وكرم أخر «والخنس: محركة تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة، خنس كفرح فهو أخنس وهي خنساء».

[138] وفي جمهرة الأمثال «ولم يمعن».

[139] الأرجوان: صبغ أحمر.

[140] الجمان: اللؤلؤ، أو هنوات أشكال اللؤلؤ من فضة.

[141] أشر الأسنان: التحزيز الذي فيها.

[142] الدمية: الصورة المنشقة من الرخام.

[143] اكتنز: اجتمع وامتلأ.

[144] القباطي (بضم الأول مع تشديد الآخر) وقباطي (بفتح الأول مع تخفيف الآخر) جمع قبطية (بالضم على غير قياس وقد تكسر): ثياب كتان بيض رقاق كانت تعمل في مصر.

[145] العكن: جمع عكنة (كفرصة) وهي ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمنا.

[146] المطوية.

[147] المدهن: قارورة الدهن.

[148] عجز.

[149] الدعص: الكثيب من الرمل المجتمع.

[150] اللفاء: الفخذ الضخمة (والضخمة الفخذين).

[151] ساق خدلة: ممتلئة ضخمة (والخدلة المرأة الغليظة الساق المستديرتها وفي العقد: «خد لجتان». (بفتح الخاء والدال وتشديد اللام) والخدلجة: المرأة الممتلئة الذراعين والساقين.

[152] في مجمع الأمثال وجمهرة الأمثال، أن الذي تزوج أم إياس هو الحارث بن عمرو، والحارث هذا هو جد امرئ القيس، وذكر صاحب العقد أن الذي تزوجها هو عمرو بن حجر، وأنها ولدت له الحارث ابن عمرو جد امرئ القيس غير أنا نلاحظ أنه قال في مقدمة هذا الوصف: «ثم أقبلت عصام إلى الحارث فقال لها ما وراءك يا عصام؟... الخ».

[153] أملكه إياها: زوجه فملكها ملكا، مثلث الميم.

[154] الوشيك، السريع: أي يكن عبدا سريع الإجابة.

[155] أخو علس، وعلس هو ذو جدن.

[156] الجذم: الأصل وكذا الجذر.

[157] التخبط: ركوب الرجل رأسه في الشر خاصة، أو السير على غير هدى.

[158] ركب فلان هجاج (غير مصروف)، ووهاج مبنيا. على الكسر: أي ركب رأسه.

[159] الاستحقاب: استفعال من الحقيبة أو من الحقاب، فأما الحقيبة، فما يجعل الرجل فيه متاعه من خرج أو غيره، والحقاب: بريم تشد به المرأة وسطها (والبريم خيط فيه لونان)، وهذا مثل: إما أن يكون أراد أنه احتزم باللجاج أو جعله في وعائه.

[160] التورد: الإشراف على الماء وغيره، دخله أو لم يدخله.

[161] الأصل.

[162] انتقاض: (والأنكاث جمع نكث، وهو ما نقض من الحبال ليعاد ثانية).

[163] القرابة.

[164] ناعمة من الرفاهية.

[165] ثابتة.

[166] متصلة.

[167] ممكنة قد أمكنت من عرضها، أي من جنبها وناحيتها، يقال قد أعرض لك الظبى فارمه، أي أمكنك من عرضه.

[168] عاقبة.

[169] الجرح.

[170] السعي والمثاى: الإفساد والجراح والقتل ونحوه.

[171] اشتداده، وهو أن يصير مثل الفحل.

[172] تقطعت.

[173] من بابى فرح ونصر.

# 2. خطب الكُهّان و الكواهن

## الكاهن الخزاعي ينفر هاشم بن عبد مناف على أميّة بن عبد شمس

وَلِيَ هاشم بعد أبيهِ عبد مناف، ما كان إليه من السقاية والرِّفادة[1]، فحسده أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف على رياسته وإطعامه، وكان ذا مال، فتكلف أن يصنع صنيع هاشم، فعجز عنهُ،فَشَمِتَ به ناس من قريش، فغضب ونال من هاشم، ودعاه إلى المنافرة، فكره هاشم ذلك لِسِنِّهِ وقدره، فلم تدعه قريش حتى نافره على خمسين ناقة سُود الحَدَق يَنْحَرها ببطن مكة، والجلاء عن مكة عشر سنين، فرضى بذلك أميّة،وجعلا بينهما الكاهن الخُزاعِيّ – وهو عمرو بن الحَمِق، ومنزله بِعُسْفان[2]، وكان مع أمية هَمْهَمة بن عبد الْعُزَّى الْفِهْرِيّ، وكانت ابنته عند أميّة، فقال الكاهن:

«والقمرِ البَاهِرِ، وَالكوكَبِ الزَّاهِرِ، والْغَمامِ المَاْطِرِ، وما بالجوِّ من طَائرٍ، وما اهتدى بعَلَمٍ[3] مُسَاْفِرٍ، من مُنْجِدٍ وَغَائِرٍ[4]، لقد سَبَقَ هاشِمٌ أميةَ إلى المآثَرِ، أوَّلٌ منهُ وآخر، وأبو هَمْهَمَةٍ بِذلكَ خابِرٍ».

## عوف بن ربيعة الأسدي يتكهّن بمقتل حجر بن الحارث

كان حُجْر بن الحارث (أبو امرئ القيس) ملك بني أسد، وكان له عليهم إتَاوَة[5] كل سنة لما يحتاج إليه، فبقي كذلك دهراً، ثمبعث إليهم من يَجْبى ذلك منهم، وحجر يومئذ بتهَامة، فطردوا رسله وضربوهم، فبلغ ذلك حجْراً، فسار إليهم، فأخذ سَرَوَاتِهِمْ[6] وخِيارهم وجعل يقتلهم بالعصا (فسُمُّوا عبيد العصا) وأباح الأموال وصيرهم إلى تهامة، وحبس جماعة من أشرافهم منهم عَبيد بن الأبرص الشاعر، فقال ومن جملة ما قال يستعطفه:

أنت المَلِيك عليهـمُ      وهم العَبيد إلى القيامـهْ

فرقَّ لهم وعفا عنهم، وردهم إلى بلادهم، فلما صاروا على مسيرة يوم من تهامة تكهن كاهنهم وهو عوف بن ربيعة بن عامر الأسدي، فقال لهم: يا عبادي، قالوا:

لَبَّيْكَ رَبَّنا، فقال: مَنِ الملِكُ الصَّلْهَبُ[7]، الْغَلابُ غير المُغَلَّب[8]، في الإبْلِ كأنَّها الرَّبْرَب[9]، لا يُقْلِقُ رأسهُ الصَّخَبُ، هذا دَمُهُ يَنْثَعِبُ[10]، وَهْوَ غداً أوَّلُ مَنْ يُسْتَلبس قالوا: ومن هو؟ رَّبَّنا. قال: «لولا تَجَيُّشُ[11] نَفْسٌ جَاْشِيَةٌ، لأخْبَرْتُكُمْ أنَّهُ حُجْرٌ ضَاْحِيَة»[12].

فركبوا كل صَعْب وذلول، حتى بلغوا عسكر حجر، فهجموا عليه في قبته فقتلوه.

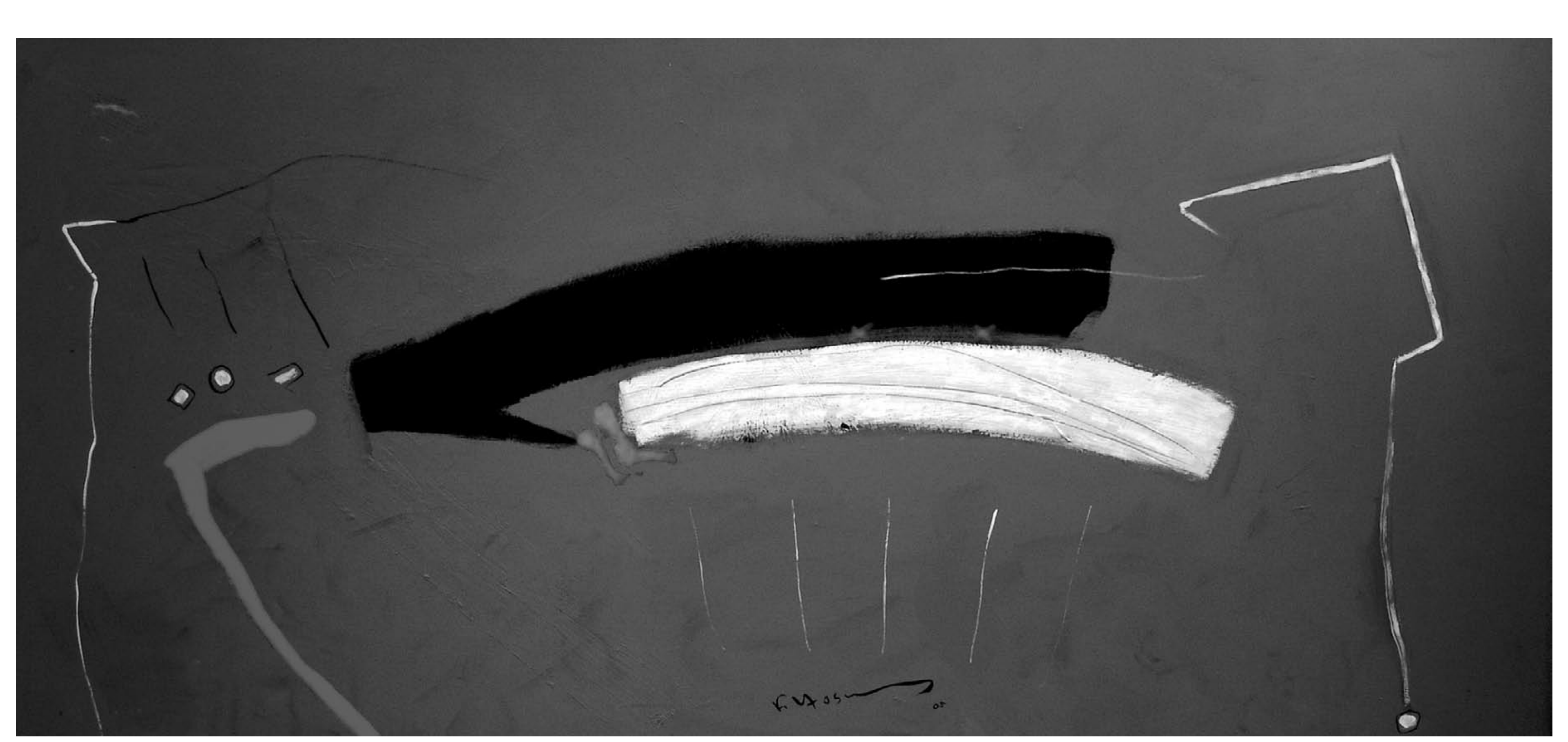
(تاريخ الكامل لابن الأثير 1: 183 والشعر والشعراء، ص ،31 والأغاني 8: 63)

## سَلَمة بن المُغَفَّل كاهن بني الحارث بن كعب يحذرهم غزو بني تميم

كان بنو تميم قد أغاروا على لَطِيمَه[13] لكسرى، فيها مسك وعنبر وجوهر كثير، فأوقع كسرى بهم، وقتل المُقاتِلة، وبقيت أموالهم وذراّيهم في مساكنهم لا مانع لها وبلغ ذلك بني الحارث بن كعب من مَذْحِج، فمشي بعضهم إلى بعض، وقالوا اغتنموا بني تميم، فاجتمعت بنو الحارث وأحلافها من زيْد وحزم بن رَيَّانٍ في عسكر عظيم، وساروا يريدون بني تميم، فحذَّرهم كاهن كان مع الحارث واسمه سَلَمه بن المُغَفَّل، وقال:

«إنَّكُمْ تَسِيْرُوْنَ أعْقَاْبَاً[14]، وَتَغْزُون أحْباباً[15]، سَعْداً وَرَبَاباً، وتَرِدُون مِياهاً جِبَاباً[16]، فَتَلْقَوْن عليها ضِرَاباً، وَتَكُوْنُ غَنِيْمَتُكُمْ تُراباً[17]، فَأَطِيْعُوا أمْرِيْ وَلا تغزُوا تميما»، وَلَكِنَّهُمْ خالفوه وقاتَلُوا بني تميم، فَهُزِمُوا هزيمة نَكْرَاء.

(تاريخ الكامل لابن الأثير 1: ,227 والأغاني 15: 70)





# أحد كهان اليمن يفصل في أمر هند بنت عتبة

كان الفاكهُ بن المُغيرة المخزوميّ أحد فتيان قريش، وكان قد تزوج هند بنت عُتْبة، وكان له بيت للضِّيافة يَغْشاه الناس فيه بلا إذن، فقال[18] يوماً في ذلك البيت، وهند معه، ثم خرج عنها وتركها نائمة: فجاءَ بعضُ من كان يغْشَى البيت، فلما وجد المرأة نائمة ولّى عنها، فاستقبله الفاكه بن المغيرة، فدخل على هند وأنبها، وقال: من هذا الخارجُ من عندك؟ قالت: والله ما انتبهت حتى أنبهتني، وما رأيت أحداً قطُّ، قال: الحقي بأبيك، وخاض الناس في أمرهم، فقال لها أبوها: يا بنيةُ العارَ[19] وإن كان كذباً، بُثِّيني شأنك، فإن كان الرجل صادقاً دَسَسْتُ عليه من يقتله، فيُقطعْ عنك العار، وإن كان كاذباً حاكمته إلى بعض كهَّان اليمن، قالت: وَاللهِ يَاْ أَبَتِ إِنَّهُ لَكَاْذِبٌ، فخرج عتبة فقال: إنك رميت ابنتي بشيء عظيم، فإما أن تُبيِّن ما قلت، وإلا فاحكمنِي إلى بعض كهان اليمن، قال: ذلك لك، فخرج الفاكه في جماعة من رجال قريش، ونسوةٍ من بني مخزوم. وخرج عتبة في رجال ونسوة من بني عبد مناف، فلما شارفوا بلاد الكاهن تغيَّر وجه هند، وَكَسَفَ بالها، فقال لها أبوها: أي بنية، ألاَ كان هذا قبل أن يشتهر في الناس خروجنا؟ قالت: يا أبت والله ما ذلك لمكروه قِبَلى، ولكنكم تأتون بشراً يخطيء ويصيب، وَلَعَلَّهُ أَنْ يَسِمَني بِسِمَةٍ تبقى على ألسنة العرب، فقال لها أبوها: صدقت، ولكني سأخبُرُهُ لَك، فصفَّر بفرسه، فلما أدلى عَمَدَ إلى حَبَةِ بُرٍّ، فأدْخَلَهَاْ في إحْلِيْلِهِ، ثم أوكىَّ [20] عليها وسار، فلما نزلوا على الكاهن أكرمهم ونحر لهم، فقال له عتبة:

إنا أتيناك في أمر، وقد خَبَأنا لك خبيئةً، فما هي؟ قال: بُرَّة في كَمَرَةٍ[21]، قال: أُرِيْدُ أبينَ مِنْ هَذَا، قال: «حَبَّةُ بُرٍّ، في إحليل مُهْر» قال: صَدَقْتَ، فانْظُرْ في أمر هؤلاء النسوة، فجعل يمسح رأسَ كلَّ واحدة منهنَّ، ويقول: قومِي لِشَأْنِكِ، حَتَّى إذا بَلَغَ إلى هِنْدٍ مَسَحَ يَدَهُ على رأسِهَا وقال: انْهَضِي غَيْرَ رَقْحَاْء[22] وَلا زَاْنِيَة، وَسَتَلدِينَ مَلِكاً يُسمَّى مُعَاْوِيَة».

فلما خرجت أخذ الفاكه بيدها، فنثرت يده من يدها، وقالت: إليك عني، والله لأحْرِصَنَّ أن يكون ذلك الولد من غيرك، فتزوجها أبو سفيان، فولدت له معاوية.

**(العقد الفريد: 3: ،422 وصبح الأعشى 1: ،398 وشرح ابن أبي الحديد م1 ص 111)**

# خمسة نفر من طيئ يمتحنون سواد بن قارب الدوسي

خرج خمسةُ نَفَرٍ من طيِّئ من ذوي الحِجَا والرأى، منهم بُرْج ُ بنِ مُسْهِر، وهو أحد المُعَمَّرِين. وأُنَيْفُ بن حارثة بن لأم، وعبد الله بن سعد بن الحَشْرَج أبو حاتم طيئ، وعارف الشاعر، ومُرَّة بن عَبْدِ رُضىً، يريدون سَوَاد بن قارب الدَّوْسي، ليتمنحوا علمه، فلما قربُوا من السَّرَاة، قالوا: لَيخْبَأْ كلُّ رجل منا خَبيئاً، ولا يُخْبر به صاحبه، ليسأله عنه، فإن أصاب عَرَفْنا عِلْمَهُ، وإن أخطأ ارتحلنا عنه، فَخَبَأ كل رجل منهم خبيئاً، ثم صاروا إليه، فأهدوا له إبلاً وطُرَفاً من طُرَف الْحِيرَة، فضرب عليهم قبة، ونَحَر لهم، فلما مضت ثلاثٌ دعا بهم، فدخلوا عليه. فتكلم بُرْج وكان أسنَّهم فقال:

«جَادَكَ السَّحَابُ، وَأَمْرَعَ لك الجَنَاب[23] وضفَتْ عليك النَّعَمُ الرِّعاب[24]،نَحْنُ أُولُوا الآكال[25]، والحدائقِ والأغْيَالِ[26]، والنَّعَمِ الجُفَالِ[27]، ونحنُ أصْهَاْرُ الأمْلاك، وفُرْسانُ الْعِرَاك ؟ يُروِّي عنهم أنهم من بكر بن وائل — ».

فقال سواد: «والسَّمَاء والأرضِ، وَالْغَمْرِ والْبَرْضِ[28]، وَالْقَرْضِ والْفَرْض[29]، إنكم لأهلُ الهضَاْب الشُّمِّ، والنخيلِ الْعُمِّ[30]، والصُّخورِ الصُّمِّ، مِنْ أَجَأَ الْعَيْطَاءِ، وَسَلْمى ذَاتِ الرَّقَبَةِ السَّطْعاءِ»[31].

قالوا: إنا كَذَلِكَ، وَقَدْ خَبَأَ لكَ كلُّ رَجلٍ مِنَّا خَبِيْئَاً، لتخبرنا باسمه وخبيئة، فقال لبرج: «أُقسم بالضياء والحَلْكَ[32]، والنجوم والْفَلك، والشروق والدَّلَك[33]، لقد خَبأْتَ يُرْثُنَ فَرْخ[34]، في إعْلِيط[35]، تَحْتَ آسِرَة الشَّرْخس[36] قال: ما أخطأتَ شيئاً، فمن أنا؟ قال: أنتَ بُرْجُ بن مُسْهِر، عُصْرَة المُمْعِر[37]، وَثِمَالُ المُحَجَّر»[38].

ثم قام أُنَيف بن حارثة، فقال: ما خبيئي وما اسمي؟ فقال: «والسَّحْابِ والتُّرَاْب، والأَصْباب والأَحْدَاب[39] والنَّعَم الْكُتاب[40]، لقد خَبَأت قُطامة فَسِيط[41]، وقُدَّةَ مَريط[42]، في مَدَرَةٍ من مَدِيِّ مَطِيط»[43] قال: ما أخطأت شيئاً، فمن أنا؟ قال: أنت أنَيف، الضَّيف، ومُعْمل السيف، وخالِطُ الشتاء بالصيف».

ثم قام عبد الله بن سعد. فقال: ما خبيئي وما اسمي؟ فقال سواد: «أقسم بالسَّوَامِ الْعَاْزِب[44]، وَالْوَقِيْرِ الكارِب[45]: والمُجِدِّ الرَّاْكِب، والمُشِيح الحَارب[46]، لقد خَبَأت نُفَاثَة فَنَن[47]، في قَطِيعٍ قد مَرَن[48]، أو أديمٍ قد جَرَن». قال: ما أخطأت حَرْفَاً فَمَنْ أنَا؟ قال: أنت ابن سعدِ النَّوال، عطاؤك سِجَال[49]، وشَرُّكَ عُضَال، وَعَمَدَك طِوَال، وَبَيْتُكَ لا يُنال».

ثم قام عارف، فقال: ما خبيئي وما اسمي؟ فقال سواد: «أقسم بِنَفْنَف اللوح[50] والماءِ الْمَسْفُوح[51]، والْفَضَاْء المَنْدُوح[52]، لَقَدْ خَبَّأْتَ زَمَعَةَ طَلاً أعْفَر[53]، في زِعْنِفَة[54] أَدِيْم أحْمَر، تحت حِلْسِ نِضْوِ أدبَر»[55] قال: ما أخطأتَ شيئاً، فمن أنا؟ قال: «أنْتَ عَاْرِفٌ ذو اللِّسَاْنِ الْعَضْب، والْقَلْبِ النَّدْب[56]، وَالَمضَّاءُ الْغَرْب[57]، مَنَّاع السَّرْب[58]، وَمْبِيح النَّهْب».

ثم قام مُرَّة بن عَبْدِ رُضىً، فقال: ما خبيئي وما اسمي؟ فقال سواد: «أقسم بالأرض والسماء، والبروج وَالأنْواءِ[59]، وَالظَّلْمِةِ وَالضِّيَاْء، لَقَدْ خَبَأْتَ دِمَّة[60]، في دِمَّة[61]، تحت مَشِيط لِمَّة»[62]. قال: ما أخطأت شيئاً، فمن أنا؟ قال: «أنتَ مُرَّة، السَّرِيْعُ الكَرَّة، البَطِيء الْفَرَّة، الشَّدِيْدُ الْمِرَّة»[63].

قالوا: فأخْبِرْنا بما رأينا في طريقنا إليك، فقال: «وَالناظرِ من حيثُ لا يُرَى والسَّامِعِ قبل أن يُنَاجى، والعَالِمِ بِمَا لا يُدْرَى، لقدْ عَنَّت لكُمْ عُقَابٌ عَجْزَاء[64]، في شَغَانيبِ[65] دَوْحة جَرْدَاء، تَحْمِلُ جَدْلاً[66]، فتماريتم[67] إِمَّا يَداً وَإِمَّا رِجلاً»، فقالوا: كذلك، ثم مَه؟ فقال: «سَنَحَ لَكم قَبْلَ طُلُوعِ الشَّرْق[68]، سِيدٌ أُمَقّ[69]، على مَاءِ طَرْق»[70] قالوا: ثم ماذا؟ قال: «ثم تيس أفرق[71]، سَنَدَ في أَبْرَق[72]، فَرَمَاه الغلامُ الأزْرَقُ، فَأصَاْبَ بين الوابِلة[73] والْمِرْفَق». قالوا: صَدَقْتَ، وأنت أعلم من تحمل الأرض، ثم ارتحلوا عنه.

# حديث مصاد بن مذعور القيني

كانَ مَصَاد بن مَذْعُور الْقَيْني رئيساً، قد أخذ مِرْبَاعَ[74] قومِهِ دَهْراً، وَكان ذا مال، فَنَدَّ ذَوْدٌ[75] من أذوادٍ له، فخرج في بِغَلِّها[76]، قال:

فإني لفي طَلَبها، إذْ هبطْتُ وادِياً شَجِيراً[77] كثيفَ الظلال، وقد تَفَسَّخْتُ أَيْناً[78]، فأَنَخْتُ راحلتي في ظل شجرة، وَحطَطْتُ رَحْلِي، وَرَسَغْت[79] بعيري، واضطجعت في بُرْدِي، فإذا أرْبَع جوَارٍ، كأنهن اللآلي، يَرْعَيْن بَهْماً لهنّ، فلما خالطَتْ عيني السِّنَةُ، أقبلن حتى جلسن قريباً مني، وفي كف كل واحدة منهن حَصَيَاتٌ تقلِّبهن، فخطَّت إحداهن ثم طَرَقت[80]،فقالت: «قلْنَ يا بَنَاتِ عَرَّاف، في صَاحِبِ الجَمَلِ النِّيَاف[81]، والْبُرْد الكُثَاف[82]، والجِرم[83] الخُفَاف»[84]، ثم طَرَت الثانية، فقالت: «مُضَلُّ أذوادٍ عَلاَكِد[85]، كُوم صَلاَخِد[86]، مِنْهُنَّ ثلاثٌ مَقَاحِد[87]، وأربعٌ جَدَائد[88]، شُسُفٌ صَمارِد»[89]، ثم طرقت الثالثة فقالت: «رَعَيْن الفَرْع[90]، ثم هَبَطْن الكَرَع[91]، بيْنَ العَقِدَات والجَرَع»[92]. فقالت الرابعة: «لِيَهْبط الغائط الأفْيَح[93]، ثم ليظهَرَ في المَلاَ الصَّحْصَح[94]، بين سَدِيرٍ وَأمْلَح[95]، فهناك الذَّوْدُ رِتَاعٌ بِمُنْعَرَج الأجْرَع» قال: فقمت إلى جملى فشددت عليه رحله وركبت، ووالله ما سألتهن مَنْ هنّ ولا مِمَّنْ هن؟ فلما أدبرت، قالت إحداهن: «أَبْرَحُ[96] فَتىً إن جَدَّ في طلب، فماله غيرهن نَشَب[97]، وسيثُوبُ عن كَثَب[98]، ففزَّع قلبي والله قولها، فقلت: وكيف هذا، وقد خلَّفت بِوَادِيَّ عَرْجاً عُكَامِسا[99]؟ فركبتُ السَّمْتَ[100] الذي وُصف لي، حتى انتهيت إلى المواضع، فإذا ذَوْدي رَواتِعُ، فضربت أعجازهن، حتى أشرفت على الوادي الذي فيه ابلى، فإذا الرِّعاءُ تدعو بالويل، فقلت ما شأنُكم؟ قالوا: أغارت بَهْرَاءُ على إبلك، فأسْحَفَتْها[101]، فأمسيت والله مالي مال غير الذَّود، فرمي الله في نواصيهن بالرَّغْسِ[102]، وإني اليومَ لأكثرُ بني القَين مالاً».

# النبي..

## شافع بن كليب الصدفي يتكهن بظهور النبي محمد

قَدِمَ عَلَى تُبَّعِ الآخِرِ ملك اليمن، قبل خروجه لقتال المدينة[103]، شَافعُ بن كُلَيْب الصَّدَفِيّ[104]، وكان كاهناً، فقال له تُبَّع: هل تجد لقوم ملكاً يوازى ملكى؟ قال: لا، إلا مُلْكَ غَسَّان، قال: فهل تجد ملكا يَزِيد عليه؟ قال:

«أَجِدُه لبَارٍ مَبْرُوْر، وَرَائِدٍ[105] بالقُهُور[106]، وَوَصْفٍ في الزَّبُور، فُضِّلت أُمَّتُهُ في السُّفُوْر[107]، يُفرِجُ الظلَمَ بالنُّوْرِ، أحمدُ النبيُّ، طوَبى لأمَّتِهِ حِيْنَ يَجِيءُ، أَحَدُ بَنِي لُؤَىَ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِى قُصَيّ».

فنظر تبع في الزبور، فإذا هو يجد صفة النبي محمد.

(تاريخ الكامل لابن الأثير 1: 164)

## سطيح الذئبي[108] يعبر رؤيا ربيعة بن نصر اللخمي

ورأى رَبيعة بن نَصر اللَّخْمِيّ ملك اليمن – وقد ملك بعد تُبَّعِ الآخر – رُؤْيَا هالَتْه، فلم يدع كاهناً، ولا ساحراً، ولا عَائِفاً، ولا منَجِّماً من أهل مملكته إلا جمعه إليه، فقال لهم: إني قد رأيت رؤيا هالتني وفَظِعْتُ[109] بها، فأخبروني بها وبتأويلها، قالوا له: أَقْصُصْهَا علينا نخبرْك بتأويلها، قال: إني إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها فإنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها، فقال له رجل منهم: فإن كان الْمَلِك يريد هذا، فليبعث إلى سَطِيح وشِقٍّ، فإنه ليس أحد أعلم منهما فيها، يُخبرانه بما سأل عنه، فبعث إليهما، فقدم عليه سطيح قبل شِقّ، فقال:

«رَأيتَ حُمَمَةً[110]، خَرَجَتْ من ظُلْمَةٍ[111]، فَوَقَعَتْ بأرض تَهَمَةٍ[112]، فأكَلتْ مِنْهَا كلُّ ذَاتِ جُمْجُمَة»[113]، فقال له المِلكُ: ما أخطأت منها شيئاً يا سَطِيح، فما عندك في تأويلها؟ فقال: «أَحْلِفُ بما بيْنَ الحَرَّتيْن[114] من حَنَش، لَيَهْبِطَنَّ أرْضَكُمْ الحبَشُ، فَلَيَمْلِكُنَّ ما بين أَبْيَنَ[115] إلى جُرَشَ[116] فقال له الملك: وأبيك يا سطيح. إن هذا لنا لغائظ مُوجِع، فمتى هو كائن، أفي زماني هذا أم بعده؟ قال: «لا، بَلْ بَعْدَهُ بحِيْنٍ، أكثرْ مِنْ سِتِّيْنَ أوْ سَبْعِيْنَ، يَمْضِيْنَ مِنَ السِّنِيْن» قال: أفيدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع؟ قال: «لا، بلْ يَنْقَطِعُ لِبِضْعٍ وَسَبْعِيْنَ من السَّنِيْنِ، ثمَّ يُقْتَلُون بِهَا أجْمَعِيْنَ، وَيَخْرُجُوْنَ مِنْهَا هَارِبِيْنَ» قال: ومن يَلِي ذلك مِنْ قَتْلِهم وإخراجهم؟ قال: «يليه إرَمُ[117] ذي يَزَن، يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ مِنْ عدَن، فلا يترك أحداً منهم باليمن» قال: أفيدومُ ذلكَ مِنْ سُلْطَاْنَة أم ينقطع؟ قال: «بلْ يَنْقَطِع» قال: ومن يقطعهُ؟ قال «نَبِيٌّ زَكيّ، يأتيهِ الوَحْيُ مِن قِبَل الْعَلِيِّ» قال: وممن هذا النبي؟ قال: «رَجُلٌ مِنْ وِلْدِ غَالِبِ بن فِهْر، بنِ مالك ابن النَّضْر، يكونُ الْمَلِكُ فيْ قَوْمِهِ إلى آخرِ الدَّهْر» قال: وهل للدهر من آخر؟ قال: «نعم. يومٌ يُجْمَعُ فِيْهِ الأوَّلُوْنَ وَالآخَرُوْنَ، يَسْعَدُ فِيْهِ الْمُحْسِنُوْنَ، وَيَشْقَي فِيْهِ المسيئون». قال: أَحَقٌّ ما تُخبرنا يا سطيح؟ قال: «نعم، والشَّفَقِ، وَالْغَسَقِ[118]، وَالْفَلَق[119] إذا انشقَّ، إن مَا أنبأتك به لَحق».

(تاريخ الطبري: 99 وسيرة ابن هشام 1: 8 والكامل لابن الأثير: 641)

## وفود عبد المسيح بن بقيلة على سطيح

عن ابن عباس رضي الله عنه قال:

«لما كان ليلة ولد النبي صلى الله عليه وسلم، ارْتَجَّ إيوان كسرى، فسقطت منه أربع عشرة شُرْفة، فعظم ذلك على أهل مملكته، فما كان أوشك أن كتب إليه صاحب اليمن يخبره أن بحيرة سَاوَة[126] غاضت تلك الليلة، وكتب إليه صاحب السَّماوة يخبره أن وادي السَّماوة[127] انقطع تلك الليلة، وكتب إليه صاحب طَبَرِيَّة أن الماء لم يجر تلك الليلة في بحيرة طبرية، وكتب إليه صاحب فارس يخبره أن بيوت النيران خَمِدَتْ تلك الليلة، ولم تَخْمَدُ قبل ذلك بألف سنة، فلما تواترت الكتب أبرز سريره وظهر لأهل مملكته فأخبرهم الخبر، فقال المُوبَذَان[128]:

أيُّها الْمَلِكُ إنِّيْ رَأْيْتُ تِلْكَ اللَيْلَةِ رُؤْيا هَاْلَتْنِيْ، قال له: وما رأيت؟ قال: رأيتُ إبلاً صِعَاباً، تَقُوْدُ خَيْلاً عِرَاباً، قدْ اقتَحَمتْ دَجْلةَ وانْتَشَرَتْ فيْ بِلادِنَا، قال رأيت عظيماً فما عندك في تأويلها؟ قال: ما عنديْ فِيْها ولا فيْ تَأْوِيْلِهَا شيءٌ، ولكن أرسل إلى عاملك بالحِيرة يوَجِّه إليك رجلاً من علمائهم، فإنهم أصحاب علم بالحِدْثان، فبعث إليه عبد المسيح بن بُقَيْلة الْغَسَّاني. فلما قدِم عليه أخبره كسرى الخبر، فقال له: أيها الملك، والله ما عندي فيها ولا في تأولها شيء، ولكن جَهِّزني إلى خال لي بالشام يقال له سِطيح. قال: جهزوه، فلما قدِم إلى سطيح وجده قد احْتُضِر، فناداه فلم يجبهُ، وكلمه فلم يرد عليه، فقال عبد المسيح:

أَصَمُّ أم يسمع غِطْرِيفُ الْيمَنْ
يا فاصِلَ الخُطَّةِ أعْيَتْ مَنْ وَمَن[129]
أتاك شيخ الحيِّ من آل سَنَن
أبيض فَضْفَاض الرِّداء وَالْبَدَن[130]
رسول قيْلِ الْعُجْم يَهْوِي لِلْوَثَنْ
لاَ يَرْهَبُ الرَّعْد ولاَ رَيْبَ الزمن[131]

فرفع إليه رأسه وقال: «عبدُ الْمَسِيْح، عَلَى جَمَلٍ مُشيح[132]، إلى سَطِيح، وَقَدْ أوْفَىْ على الضَّريح[133]، بَعَثَكَ مَلِكُ بَنِي سَاْسَاْن، لارْتِجَاْجِ الإيْوَاْن، وَخُمُوْد النِّيْرَاْن، وَرُؤْيَا المُؤبَذَان، رَأَىْ إبلا صِعَاباً، تقود خَيْلاً عِرَاباً، قدِ اقْتَحَمَتْ في الوَاْد، وانْتَشَرتْ في البلاد. يا عَبْدَ الْمَسِيْح: إذا كَثُرَت التِّلاوَة[134]، وَظَهَرَ صَاْحِبُ الْهِراْوَة[135]، وَفَاْضَ وَاْدِيْ السَّمَاْوة، وَغاضَتْ بحيرة ساوة، وَخَمَدَتْ نَاْرُ فَاْرِس، فَلَيْسَتْ بَاْبِلُ للْفُرْسِ مُقَاماً، ولا الشَّاْمُ لسطيح شاماً، يَملكُ مِنْهُمْ مُلُوْكٌ وَمَلِكَاْت[136]، عَدَدَ سُقُوْط الشُّرُفات، وَكُلُّ ما هُوَ آتٍ آت» ثم قال:

ثمَّ أتى كسرى فأخبره بما قاله سطيح فغمهُ ذلك، ثم تعزَّى، فقال: إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكاً يدور الزمان، فهلكوا كلهم في أربعين سنة، وكان آخر من هلك منهم في أول خلافة عثمان.

الهوامش

(1) السقاية: هي إسقاء الحجيج الماء العذب. والرفادة: خرج كانت تخرجه قريش في كل موسم من أموالها، فتدفعه إليه، فيصنع به طعاماً للحاج يأكله من لم يكن له سعة ولا زاد.

(2) عسفان: موضع على مرحلتين من مكة.

(3) العلم: ما نصب في الطريق يهتدى به.

(4) أنجد: أتى نجداً، وغار وأغار: أتى غوراً.

(5) خراج.

(6) سروات جمع سراة بالفتح: وهي اسم جمع سرى كغنى من سرو سرواً وهو المروءة في شرف.

(7) حجر صلب: شديد صلب، والصلهب أيضاً: الشديد من الإبل، والرجل الطويل، وفي الشعر والشعراء والأغاني «الأصهب» ومن معانيه الأسد.

(8) المغلب: المغلوب مراراً (وهو أيضاً المحكوم له بالغلبة. ضد).

(9) الربرب: القطيع من بقر الوحوش.

(10) يتفجر.

(11) جاشت النفس وتجيّشت: ارتفعت من حزن أو فزع.

(12) علانية، يقال فعله ضاحية: أي علانية.

(13) اللطيمة: العير تحمل الطيب وبز التجار.

(14) أي يسير بعضكم عقب بعض، فريقاً في إثر فريق. وقد ذكر ابن الأثير أنهم كانوا نحو ثمانية آلاف، ولا يعلم في الجاهلية جيش أكثر منه ومن جيش كسرى بذي قار ومن يوم جبلة، وروى أبو الفرج الأصبهاني أنه اجتمع من مذحج ولفها اثنا عشر ألفاً.

(15) هذه الفاصلة والفاصلتان قبلها، وردت في الأصل محرفة هكذا: «إنكم تسيرون أعياناً، وتغزون أحياناً؛ سعدا وريانا».

(16) الجباب والأجباب جمع جب: وهو البئر الكثيرة الماء البعيدة القعر.

(17) أورد صاحب الأغاني من هذه الفقر الست، الفقرة الأولى والرابعة والسادسة، وعزاها إلى المأمور الحارثي وهو كاهن أيضاً.

(18) قال قيلا وقائلة وقيلولة ومقيلا: نام في القائلة وهي نصف النهار.

(19) أي أتق العار.

(20) الوكاء ككتاب: حبل يشد به رأس القربة، ووكاها وأوكاها وأوكى عليها شد فمها بالوكاء.

(21) الكمرة: رأس الذكر.

(22) الرقحاء: البغي التي تكتسب بالفجور، من الرقاحة كفصاحة وهي الكسب والتجارة، هذا ما ورد في ابن أبي الحديد، وفي غيره «رسحاء» والرسحاء: القبيحة، والرسحاء أيضاً: القليلة لحم العجز والفخذين والأول أنسب.

(23) أمرع: أخصب، والجناب: ما حول الدار.

(24) الضافي: السابع الكثير، ويقال: خير فلان ضاف على قومه: أي سابغ عليهم، والرغاب: الواسعة الكثيرة جمع رغيبة.

(25) الآكال: جمع أكل (كقفل وعنق) الرزق والحظ من الدنيا.

(26) الأغيال جمع غيل كشمس: وهو الماء الجاري على وجه الأرض.

(27) الجفال: الكثيرة.

(28) الغمر: الماء الكثير، ويقال: رجل الخلق إذا كان واسع الخلق سخياً، والبرض: الماء القيل، ويقال فلان يتبرض حقه، أي يأخذه قليلاً قليلاً.

(29) القرض: ما تعطيه لتقضاه، والفرض: ما فرضته على نفسك فوهبته أوجدت به لغير ثواب.

(30) الشم: الطوال، وكذا العم.

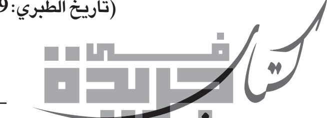
(31) أجأ وسلمى: جبلاً طيء، والعيطاء: الطويلة؛ وكذا السطعاء.

(32) الحلك: شدة السواد.

(33) دلكت الشمس دلوكا: غربت أو اصفرت؛ والدلك وقت الدلوك.

(34) البرثن: ظفر كل ما لا يصيد من السباع والطير مثل الحمام والضب والفأرة فإذا كان مما يصيد؛ قيل لظفره مخلب.





[35]المرخ: شجر تقدح منه النار؛ والإعليط: وعاء ثمر المرخ، والعرب تشبه به آذان الخيل.

[36]الأسرة والإسار: القد الذي يشد به خشب الرحل، وشرخا الرحل جانباه.

[37]الممعر: الذي ذهب ماله، والعصرة: الملجأ والمنجاة.

[38]الثمال: الغياث الذي يقوم بأمر قومه؛ والمحجر: الملجأ (بصيغة اسم المفعول) المضيق عليه.

[39]الأصباب: جمع صبب كسبب: وهو ما انخفض من الأرض؛ والأحداب: جمع حدب كسبب أيضاً: وهو ما علا.

[40]الكثيرة.

[41]القطامة: ما قطعته بفيك؛ والقطم بأطراف الأسنان، والفسيط: قلامة الظفر.

[42]القذة. الريشة؛ والمريط من السهام: الذي قد تمرط ريشه أي نتف.

[43]المدرة: قطعة طين يابسة؛ والمدى: جدول صغير، سيل فيه ما هريق من ماء البئر؛ والمطيطة: الخاثر في أسفل الحوض.

[44]السوام: المال الراعي من الإبل؛ والعازب: البعيد.

[45]الوقير: القطيع من الغنم، والكارب: القريب.

[46]المشيخ: الجاد؛ في لغة هذيل؛ وفي غيرها الحاذر؛ والحارب: السالب حربه حرباً كطلبة طلباً: سلبه ماله.

[47]النفاثة: ما تنفثه من فيك؛ والفنن: واحد أفنان الأشجار وهي أغصانها.

[48]القطيع: ما يقطع من الشجر. ومرن وجرن: لأن.

[49]أي متداول بين الناس، لكل فريق منه نصيب.

[50]النفنف واللوح واحد، وهما الهواء وإنما أضاف لما اختلف اللفظان، فكأنه أضاف الشيء إلى غيره.

[51]المصبوب.

[52]الواسع.

[53]الطلا: ولد الظبي ساعة يولد، والصغير من كل شيء، والأعفر من الظباء ما يعلو بياضه حمرة، الزمعة: الشعرات المتدليات في رجل الأرنب.

[54]زعانف الأديم: أطرافه مثل اليدين والرجلين، وما لا خير فيه جمع زعنفة بكسر الزاي والنون، ومنه قيل لرذال الناس الزعانف.

[55]الحلس للبعير كالبرذعة للحافر، والنضو: المهزول من الإبل وغيرها، والأدبر: الذي أصابه الدبر (بالتحريك) وهو قرحة الدابة.

[56]الذكي.

[57]الحد.

[58]السرب بالفتح: الماشية كلها، وبالكسر القطيع من الظباء والنساء وغيرها.

[59]الأنواء: جمع نوء (كسهم) النجم: مال للغروب.

[60]الدمة: القملة.

[61]الرمة: العظام البالية.

[62]اللمة: الشعر المجاوز شحمة الأذن، والمشيط: الممشوط.

[63]المرة: القوة.

[64]العجزاء: التي أبيض ذنبها، (وفي غير هذا الموضع: التي كبرت عجيزتها).

[65]الشغانيب جمع شغنوب كعصفور وهو الغصن الناعم الرطب، والدوحة: الشجرة العظيمة.

[66]الجدل: العضو وجمعه جدول.

[67]تجادلتم.

[68]الشرق: الشمس، والعرب تقول لا أفعل ذلك ما طلع شرق، وشرقت الشمس: طلعت، وأشرقت: أضاءت.

[69]السيد: الذئب والأمق: الطويل.

[70]الطرق: الماء الذي بولت فيه الإبل، يقال: ماء طرق ومطروق.

[71]الأفرق من الشاء: البعيد ما بين خصييه.

[72]سند في الجبل: صعد، والأبرق والبرقاء والبرقة كفرصة: غلظ من الأرض فيه حجارة ورمل، وجبل أبرق: إذا كان فيه لونان.

[73]الوابلة: رأس العضد الذي يلي المنكب.

[74]المرباع: ربع الغنيمة، وكان يختص به الرئيس في الجاهلية.

[75]ند: شرد، والذود: ثلاثة أبعرة إلى العشرة، أو خمسة عشر، أو عشرون، أو ثلاثون.

[76]طلبها.

[77]كثير الشجر.

[78]تعبا وكلالا.

[79]شددت رسغه.

[80]الطرق: ضرب الكاهن بالحصى.

[81]جمل نياف ككتاب وشداد: طويل في ارتفاع.

[82]الكثيف.

[83]الجسد.

[84]الخفيف.

[85]أضل دابته: فقدها، والعلاكد: الصلاب الشداد جمع علكد كجعفر وزبرج وقنفذ.

[86]بعير أكوم، وناقة كوماء: عظيمة السنام والجمع كوم، والصلاخد: العظام الشداد، وأحدها صلاخد بالضم.

[87]المقاحد جمع مقحاد، وهي الغليظة السنام (والقحدة كرقبة: السنام أو أصله).

[88]الجدائد جمع جدود كصبور: وهي التي انقطع لبنها.

[89]شسف جمع شاسف: وهو اليابس ضمراً وهزالاً، والصمارد جمع صمرد كزبرج: القليلة اللبن.

[90]الفرع جمع فرعة وهي أعلى الجبل.

[91]الكرع: ماء السماء ينزل فيستنقع، وسمي كرعا لأن الماشية تكرع فيه.

[92]العقدات جمع عقدة: وهي ما تعقد من الرمل، والجرع جمع جرعة بالسكون ويحرك: الرملة الطيبة المنبت لا وعوثة فيها، أو الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل أو الدعص لا ينبت، أو الكثيب جانب منه رمل وجانب حجارة كالأجرع والجرعاء.

[93]الغائط: المطمئن من الأرض، والأفيح: الواسع.

[94]الملا: الفضاء، والصحصح والصحصاح والصحصحان: ما استوى من الأرض.

[95]سدير وأملح: موضعان.

[96]أشد.

[97]المال الأصيل من الناطق والصامت.

[98]يثوب: يرجع، والكثب: القرب.

[99]العرج: نحو خمسمائة من الإبل، والعكامس والعكابس: الكثير.

[100]الطريق.

[101]استأصلتها.

[102]الرغس: البركة والنماء.

[103]قال ابن إسحق: كان تبع الآخر حين أقبل من المشرق بعد أن ملك البلاد جعل طريقه على المدينة، وكان حين مر بها في بدايته لم يهج أهلها، وخلف بين أظهرهم إبناً له، فقتل غيلة، فقدمها وهو مجمع على تخريبها واستئصال أهلها، فجمع له الأنصار حين سمعوا ذلك وخرجوا لقتاله، فتزعم الأنصار أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل، فيعجبه ذلك منهم، ويقول: والله إن قومنا لكرام، فبينا هو على ذلك إذ جاءه حبران من أحبار اليهود من بني قريظة عالمان راسخان في العلم، فقالا له: قد سمعنا ما تريد أن تفعل، وإنك إن أبيت إلا ذلك؛ حيل بينك وبينه، ولم نأمن عليك عاجل العقوبة، فقال: ولم ذلك؟ قالا: إنها مهاجر (بفتح الجيم) نبي يخرج من هذا الحرم من قريش تكون داره وقراره، فانتهى عما كان يريد، وأعجبه ما سمع منهما، واتبعهما على دينهما، وكان هو وقومه أصحاب أوثان، وخرج متوجهاً إلى اليمن فدعا قومه إلى اليهودية فأبوا عليه، ثم أطبقوا على دينه، فمن هنالك وعن ذلك كان أصل اليهودية باليمن (سيرة ابن هشام 1: 11، والكامل لابن الاثير 1: 164).

[104]الصدفي نسبة إلى صدف ككتف: بطن من كندة.

[105]الرائد في الأصل: المرسل في طلب الكلأ من الرود وهو الطلب، يعني به نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم: فقد كان رائداً لأمته يرتاد لها الخير قال عليه الصلاة والسلام في أول خطبة خطبها بمكة حين دعا قومه: إن الرائد لا يكذب أهله».

[106]جاء في معجم البلدان: القهر (كشمس) أسافل الحجاز مما يلي نجداً من قبل الطائف.

وأنشد الخداش بن زهير:

دعوا جانبي، إني سأنزل جانباً لكم واسعاً بين اليمامة والقهر

وأقول: هذا الوصف ينطبق على مكة فهي واقعة جنوبي الحجاز الخ. فالمعنى: «أجد ملكاً يزيد على ملك أرائد يظهر بتلك البقاعس أما كلمة القهور فلم أجدها في معجم، ولعل الكاهن جمع «القهر» على قهور، لإقامة الفاصلة، أو هو على حد قول أمرئ القي»:

يزل الغلام الخف عن صهواته كما زلت الصفواء بالمتنزل

[107]السفر (كحمل) الكتاب الكبير، أو جزء من أجزاء التوراة، وفي كتب اللغة أنها تجمع على أسفار، ولعله جمعها على سفور للمحافظة على السجع أيضاً.

[108]اسمه ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن مازن غسان، وكان يقال له الذئبي نسبة إلى ذئب بن عدي، وكان من المعمّرين قيل عاش ثلثمائة سنة وقيل سبعمائة، وزعموا أنه لم يكن له رأس ولا عنق، وأن وجهه كان في صدره، وأنه كان جسداً ملقى لا جوارح له، وكان لا يقدر على الجلوس إلا إذا غضب، فإنه ينتفخ فيجلس، وكان له سرير من الجريد والخوص، إذا أريد نقله إلى مكان يطوى من رجليه إلى جمجمته كما يطوي الثوب فيوضع على ذلك السرير، وإذا أريد استخباره ليخبر عن المغيبات يحرك كما يحرك سقاء اللبن فينتفخ ويمتلىء ويعلوه النفس فيسأل فيخبر عما يسأل عنه، (كذا) وأن كاهنه بني سعد ابن هذيم وكانت بأعالي الشأم لما حضرتها الوفاة طلبت سطيحاً وشقاً (وسيأتي ذكره) وتفلت في فمهما، وذكرت أن سطحا يخلفها في كهانتها، ثم ماتت في يومها ذلك.

[109]فظع بالأمر كفرح فظاعة: إذا هاله وغلبه.

[110]الحممة وتجمع على حمم: الفحمة والرماد وكل ما احترق من النار، وتطلق الحممة على الجمر مجازاً باعتبار ما يئول إليه وهو المراد هنا.

[111]الظلمة: الظلام، وسترى في تعبير الرؤيا أنها إشارة إلى الأحباش السود.

[112]التهمة بالتحريك: الأرض المتصوبة إلى البحر، كالتهم محركة أيضاً كأنهما مصدران من تهامة، لأن التهائم متصوبة إلى البحر ويقال أيضاً: أرض تهمة كفرحة أي شديدة الحر، من التهم بالتحريك وهو شدة الحر وفي ابن الأثير «بهمة» بالباء يقال: أرض بهمة كفرحة أي كثيرة البهمي، والبهمي بالضم اسم نبت، والضبط الأول أرجح.

[113]أي كل نفس.

[114]الحرة: أرض ذات حجارة سود نخرة.

[115]مخلاف باليمن منه مدينة عدن.

[116]مخلاف باليمن من جهة مكة.

[117]الإرم كعنب وكتف: العلم (بالتحريك) أو خاص بعاد، والعلم سيد القوم، أي يتولاه سيد بني ذي يزن، وهو سيف بني ذي يزن.

[118]الشفق: الحمرة في الأفق من الغروب إلى قريب العتمة، والغسق: ظلمة أول الليل.

[119]الفلق: الصبح أو ما انفلق من عموده.

[120]هو شق بن مصعب بن يشكر بن رهم بن أفزل ابن قيس بن عبقر بن أنمار بن نزار، وزعموا أنه كان شق إنسان (أي نصفه) له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة.

[121]مؤنث طفل: وهو الرخص الناعم من شيء.

[120]مخلاف شمالي اليمن.

[121]الدني: مسهل عن دنيئ، والمدني: المقصر عما ينبغي له أن يفعله، وفي ابن الأثير «مزن» بالزاي والمزن: المبهم، من أزننته بكذا أي اتهمته به.

[122]وخبر ذلك أن زرعة بن كعب الملقب بذي نواس أحد ملوك التبابعة باليمن (وكان قد تهود وتعصب لليهودية وحمل عليها قبائل اليمن) اضطهد نصارى نجران لأن يهودياً بنجران عدا أهلها على ابنين له فقتلوهما ظلماً، فتوسل إلى ذي نواس باليهودية، واستنصره عليهم، فحمى له ولدينه وغزاهم، ويقال إن رجلاً من أهل نجران أفلت من القتل، وسار إلى قيصر الروم يستنجده على ذي نواس، فبعث قيصر إلى نجاشي الحبشة يأمره بنصرة النصارى، فجهز جيشاً إلى اليمن، فركبوا البحر إليها، ولقيهم ذو نواس فيمن معه فدارت الدائرة عليه، وملكت الحبشة اليمن، ولما طال البلاء من الحبشة على أهلها خرج سيف بن ذي يزن الحميري وقدم على قيصر يوستنيان يستنجده على الحبشة فأبى، وقال: الحبشة على دين النصارى؛ فرجع إلى كسرى أنوشروان واستعانه، فأمده بجيش ممن كانوا في سجونه؛ فقاتلوا الأحباش وهزموهم؛ واسترد سيف عرش آبائه على فريضة يؤديها كل عام للفرس حتى قتل؛ فأرسل كسرى عاملاً على اليمن واستمرت أعمالُهُ إلى أن كان آخرهم «باذان» فأسلم؛ وصارت اليمن إلى الإسلام في عهد الرسول محمد.

[125]أي شك أو باطل.

[126]هكذا في العقد الفريد، وفي السيرة الحلبية «وورد عليه كتاب من صاحب إيليا (بالشام) يخبره أن بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة» وفي معجم البلدان: «ساوة مدينة حسنة بين الري وهمذان في وسط، بينها وبين كل واحد من همذان والري ثلاثون فرسخاً، وفي حديث سطيح في أعلام النبوة: «وخمدت نار فارس وغارت بحيرة ساوة الخ» ومنه يستفاد أنها في فارس.

# الشَّعْثَاْءُ الكاهنة تصف سبعة إخوة

كانت عَثْمة بنتُ مطرود البَجَلِيْة ذات عقل ورأى مُسْتَمَع في قومَها. وكانت لها أخت يقال لها خَوْد، وكانت ذات جمال وَمِيسَم[1] وعقل، فخطب سبعةُ إخوة غِلْمة من بطن الأَزْد خوداً إلى أبيها، فأتَوْه وعليهم الحلَل اليمانية، وتحتهم النجائب الْفُرْه[2]، فقالوا: نحن بنو مالك بن غُفَيْلَةَ ذي النِّحْيَيْنِ، فقال لهم: انزلوا على الماء، فنزلوا ليلتهم، ثم أصبحوا غَادِينَ في الحُلَل والهيئة، ومعهم رَبِيبَةٌ[3] لهم يقال لها الشَّعْثاء: كاهنةٌ، فَمَرُّوا بِوَصِيدها[4] يتعرَّضون لها، وكلُّهم وَسِيم جميل، وخرجَ أبوها، فَجَلسوا إليهِ، فرحَّبَ بهم، فقالوا: بلغنا أنَّ لكَ بنتاً، ونحنُ كما ترى شبَاب، وكلنا يَمْنَع الجانب، ويَمْنَح الراغب، فقال أبوها: كلكم خِيار، فأقيموا نرى رأينا، ثم دخل على ابنته، فقال: ما تَرَين، فقد أتَاكِ هؤلاء القوم؟ فقالت: «أَنْكِحْنِي على قدري، ولا تَشْطُط في مَهْرِي، فإن تُخْطِئْنِي أَحْلامُهم، لا تخطِئني أجسامهم، لعلي أُصيب وَلَداً، وأَكْثُرُ عَدَداً» فخرج أبوها، فقال: أخبروني عن أفضلكم.

قالت ربيبتُهُم الشَّعْثَاْءُ الكاهنة: «أسْمَعْ أُخبرك عنهم: هم إخوة، وكلهم أَسْوَة[5] أما الكبير فمالِكٌ، جَرِيء فاتِك، يُتْعِبُ السَّنَابِك[6]، ويستصغرُ المَهَالك. وأما الذي يَلِيه فالْغَمْر، بحرٌ غَمْر[7]، نَهْد[8] صَقْر. وأما الذي يليهِ فَعَلْقَمة، صَليبُ المَعْجَمَة[9]، مَنِيعُ المَشْتَمة[10]، قليلُ الجَمْجَمَة[11]. وأما الذي يليهِ فعاصِم، سَيِّدٌ نَاعِم[12]، جَلْدٌ صارم، أَبِيٌّ حازم، جيشُهُ غانِم، وَجارُهُ سالم. وَأَما الذي يليهِ فَثَواب، سَرِيعُ الجَوَاب، عَتِيدُ الصواب[13]، كريمُ النِّصَاب[14]، كَلَيْثِ الغاب. وأما الذي يليهِ فمُدْرِك، بَذُولٌ لِمَا عَزُوبٌ[15] عمَّا يترك، يُفْنى وَيُهْلِك. وأما الذي يليهِ فَجَنْدَل، لِقِرْنِهِ مُجَدِّل[16]، مُقِلٌّ[17] لما يُحَمَّل، يُعْطِي وَيبذُل، وعن عدوه لاَ يَنْكُل»[18].

فشاورتْ أختَها فيهم، فقالت أختها عثمة: «تَرَى الْفِتْيَانَ كَالنَّخْلِ، ومَا يُدْرِيك مَا الدَّخْلِ؟[19]» اسمعي مني كلمة، إن شَرَّ الغريبة يُعْلَن، وخيرها يُدْفَنْ، انكحي في قومِكِ ولا تَغْرُرْك الأجسام، فلمْ تقبل منها، وبعثت إلى أبيها: أنكحني مدركاً، فأنكحها أبوها على مائة ناقة وَرُعَاتِهَا، وَحَملها مدرك، فلم تلبث عنده إلا قليلاً، حتى صبَّحهم فوارسُ من بني مالك بن كِنانة، فاقتتلوا ساعة، ثم إن زوجها وإخوته وبني عامر انكشفوا، فَسَبَوْها فيمن سَبَوا، فبينما هي تسير بكت، فقالوا: ما يُبْكِيكِ، أَعَلَى فراق زوجك؟ قالت: قَبَّحَهُ الله، قالوا: لقد كَاْنَ جميلاً! قالت: قَبَّحَ الله جمالاً لا نَفَع معهُ، إنما أبكي على عصياني أختي، وقولها: «ترى الفتيان كالنخل، ومَا يدريك ما الدخل»وأخبرتهم كيف خطبوها، فقال لها رجل منهم يُكْنَى أبا نواس شاب أسود أفْوَه[20] مضطرب الخَلْق: أتَرْضَيْنَ بي، على أنْ أمْنَعَكِ منْ ذِئابِ العَرَبِ؟ فقالت لأصحابه: أكذلكَ هُوَ؟ قالوا: نعم، إنَّهُ مَعَ ما تَرَينَ لَيَمْنَع الحَلِيلة[21]، وتَتَّقيهِ القَبِيْلَة، قالتْ: هذا أجملُ جَمَاْل، وَأكْمَلُ كَمَال، قدْ رَضِيْتُ بِهِ، فزوجوها منهُ.

(مجمع الأمثال للمداني 1: 19)

# طريفة الخير تتكهن بسيل الْعَرِمِ وخراب سد مأرِب

كَاْنَ أوَّل من خرج من اليمن في أول تمزيقهم، عَمْرو بن عامر مُزَيْقِيَاء[22]، وكَاْنَ سبب خروجه، أنه كانت له زوجة كاهنة، يقال لها «طَرِيفَة الخير»، وكانت رأت في منامها أنَّ سحابة غَشِيَتْ أرضهم فأرعدت وأبرقت، ثم صَعَقَت، فأحرقت كل ما وقعت عليه، ففزِعت طريفة لذلك فَزَعاً شديداً، وأتت الملك عَمْراً، وهي تقول: «ما رأيتُ اليومَ، أزال عني النومَ، رأيت غَيْماً رَعَدَ وَبَرَقَ[23] طويلاً، ثم صَعَق، فما وقع على شيء إلا احترق»، فلما رأى ما داخلها من الفزع سكّنها، ثم إنَّ عمراً دخل حديقة له، ومعه جاريتان من جَواريه، فبلغ ذلك طريفة، فخرجت إليه وخرج معها وَصِيف[24]،لها اسمه سِنَان، فلما بَرَزَتْ من بيتها عرض لها ثلاثُ مناجيد مُنتصبات على أرجلهن، واضعات أيديهن على أعينهن– وهي دواب تشبه اليَرَابي[25]– فقعدت إلى الأرض واضعة يديها على عينيها، وقالت لوصيفها: إذا ذهبت هذه المناجيد فأخبرني، فلما ذهبت أعلمها، فانطلقت مسرعة، فلما عارضها خليج الحديقة التي فيها عمرو، وثبت من الماء سُلَحْفاة. فوقعت في الطريق علي ظهرها، وجعلت تروم الانقلاب فلا تستطيع، وتستعين بذنبَها، فتَحْثُو التراب على بطنها من جَنَبَاته، وتقذِف بالبَوْل قذفاً، فلما رأتها طريفة جلست إلى الأرض، فلما عادت السلحفاة إلى الماء،مضت إلى أن دخلت على عمرو وذلك حين انتصف النهار في ساعة شديدة الحرّ، فإذا الشجر يتكَّفأ من غير ريح، فلما رآها عمرو استحَيا منها، وأمر الجاريتين بالتنحّي، ثم قال لها يا طريفة: فكهَنَت وقالت:



«والنُّورِ والظلماء، والأرض والسماء، إن الشجر لَهَالِك، وليعودنَّ الماء كما كَأنَ في الزمان السَّالك». قال عمرو: ومن خبَّرك بهذا؟ قالت: «أخبرتني المناجد، بسنين شدائد، يَقْطع فيها الولد الوالد» قال: ما تقولين؟ قالت: «أقول قول النَّدمان لَهْفاً، لقد رأيت سُلْحفا[26]، تَجْرُف التراب جَرْفاً، وتقذِفُ بالبول قذفاً، فدخلت الحديقة، فإذا الشَجَرُ مِنْ غَيْرِ رِيْحٍ يتكَفَّا» قال عمرو: وما تَرَين؟ قالت: «داهيةٌ دَهْيَاء، من أمُوْرٍ جَسِيْمَة، وَمَصَائِبَ عظيمة» قال: وما هو؟ وَيْلَكِ! قالت: «أجلْ، إنَّ فيهِ الْوَيْل، وَمَا لَكَ فِيْهِ مِنْ قَيْل[27]، وإنَّ الوَيْلَ فِيْمَا يَجِيءُ بِهِ السَّيل «فألقي عمرو نفسه عن فراشه، وقال: مَا هَذَا يَا طَرِيْفَةُ؟ قالت: «هُوَ خَطْبٌ جَلِيْل، حُزْنٌ طَوِيْل، وَخَلَف قليل» قال: وما علامة ما تذكرين؟ قالت «اذهبْ إلى السدِّ، فإذا رأيتَ جُرَذاً يُكْثِرُ بِيَدِيهِ في السدِّ الحَفْرَ، ويقلِّبُ بِرِجْلَيْهِ مِنْ أَجَلِ الصَّخْر، فاعلمْ أنْ غَمَرَ الْغَمْرُ[28] وأنْ قدْ وَقَعَ الأمْر». قال: وما هذا الذي تذكرين؟ قالت: «وعْدٌ من الله نزل، وباطل بَطَل، ونَكال بنا نكَّل، فبغيرك يا عمرُو فليكن الثَّكَل[29]، فانطلق عمرو فإذا الجرذ يقلب برجليه صخرة ما يقلبها خمسون رجلاً، (كذا) فرجع إلى طريفة فأخبرها الخبر وهو يقول:

أبصرت أمراً عَادَنِي منه ألَمْ
وهاج لي من هوله بَرْحُ السَّقَم[30]
من جُرَذ كَفَحْل خِنْزير الأجَمْ
أَوكَبْشِ صِرْم من أفاريق الْغَنَم[31]
يَسْحَبُ صخراً من جلاميد الْعَرِمْ
لهُ مخاليبُ وأنيابٌ قُضُمْ[32]
ما فاتَهُ سَحْلاً من الصخر قَصَم[33]

فقالت طريفة: وإنَّ مِنْ عَلامَاتِ مَا ذَكَرتُ لَكَ أنْ تَجلسَ فتأمرَ بزُجاجةٍ فَتُوْضَعُ بَيْنَ يَدَيْكَ، فإنَّ الرِّيحَ تملؤها مِنْ تُراب الْبَطْحاء[34]، من سهْلَة[35] الوادي وَرَمْلِه، وَقَدْ عَلِمْتُ أنَّ الجِنانَ مُظلَّلة لا يدْخُلُها شَمْسٌ ولا رِيْح، فأمر عمرو بزجاجة فوضعَهَا بين يديه ولم يَمكث إلاَّ قليلاً حتى امتلأت من تراب البطحاء، فأخبر عمرو طريفة بذلك وقال لها: متى يكون هُلْك السدِّ؟ قالت له: فِيْمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ سَبْعِ سِنِيْن، قال: ففي أيها يكون؟ قالت: «لا يَعْلَمُ بذلكَ إلا اللهُ، وَلَوْ عَلِمَهُ أَحَدٌ لَعَلِمْتُهُ، ثم رأى عمرو في نومه سيل الْعَرِم، وقيل له: آيَة ذلك أن ترى الحصباء في سَعَف النخل، فنظر إليها، فوجد الحصباء فيها قد ظهرت، فعلم أن ذلك واقع، وأن بلادهم ستخرَب، فكتم ذلك وأخفاه، وأجمع على بيع كل شيء له بأرض مَأْرِب[36] وأن يخرج منها وهو وولده[37]، فخرج ثم أرسل الله تعالى على السدِّ[38] السيلَ فهدمه.

(شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون ص 98)

وقال أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني: وسارت القبائل من أهل مأرب حين خافوا سيل العرم، وعليهم مُزَيْقِيَاء، ومعهم طريفة الكاهنة، فقالت لهم: «لاَ تَؤُمُّوا مكة حتى أقول، وما عَلَّمني ما أقول إلا الحكيم المُحَكَّم، رَبُّ جميع الأمم، من عرب وعجم» قالوا لها: ما شأنك يا طريفة؟ قالت: خذوا البعير الشَّدْقَم[39]، فخضِّبوه بالدم، تكن لكم أرْضُ جُرْهُم[40]، جيرانِ بيته المُحَرَّم».

(الأغاني 13: 105)

وروى الميداني في مجمع الأمثال قال: «ألقتْ طريفةُ الكاهنةُ إلى عمرو بن عامر الذي يقالُ مزيقيا بن ماء السماء، وكانت قد رأت في كهانتها[41] أنَّ سدَّ مَأرِب سَيَخْرَبُ، وأنه سيأتي العرمُ، فَيُخَرِّب الجنتين[42]، فباعَ عمرو بن عامر أموالَهُ، وسارَ هوَ وَقَومهُ حتى انتهو إلى مَكة، فأقَاموا بمكة وَمَا حَولَها، فأصَابتهُم الحُمَّى، وكانوا ببلد لا يدرونَ فيه ما الحمى، فَدَعَوا طريفةَ فشكوا إليها الذي أصابهُم، فقالت لَهُم: قَد أصَابني الذي تَشْكونَ، وَهوَ مُفرِّقٌ بَينَنا. قَالوا: فَمَا تَأمرين؟ قَالت: «مَن كَانَ منكم ذا هَمٍّ بعيد، وَجَمَل شديد، وَمَزَاد[43] جَدِيْد، فَلْيَلْحَق بِقَصْرِ عمَان المَشِيد[44]، فكانت أَزْدُ عُمَان، ثم قالت: من كَانَ منكم ذا جَلَد وقَسْر[45]، وَصَبْرٍ على أزمات الدهر، فعليه بالأرَاك[46] من بطن مُرّ[47]، فكانت خُزاعة، ثم قالت: من كَانَ منكم يريد الراسياتِ في الْوَحْل، المُطْعِمات في المَحْل[48]، فليلحقْ بِيَثْرِب ذاتِ النَّخْل، فكانت الأوْسُ والخَزْرَج، ثم قالت: منْ كَانَ منكم يُريدُ الخَمْرَ الخَمير، والمُلْكَ والتَّأمِيْر، وَيَلْبَسُ الدِّيباج وَالْحَرِيْر، فليلحقْ بِبُصْرَى وَغوير، (وهما من أرض الشام)، فكَانَ الذين سكنوها من آل جَفْنة من غَسَّان، ثم قالت: من كَانَ منكم يُريدُ الثيابَ الرِّقاق، والْخَيْل الْعِتَاق، وَكُنُوْزَ الأرزاق، والدَّمَ المُهَراق، فليلحقْ بأرضِ الْعِرَاق، فكَانَ الذي سكنوها آل جَذِيمة الأبرش، ومن كَانَ بالحيرة وَآل مُحَرِّق»[49].

(مجمع الأمثال 1: 186)

## حديث زبراء الكاهنة مع بنى رئام من قضاعة

كَانَ ثلاثةُ أَبْطُنٍ من قُضَاعةَ مَجْتُورِين[50] بين الشِّحْرِ وحضر مَوْتَ: بنو نَاعِبٍ، وبنو دَاهِنٍ، وبنو رِئَّام وكانت بنورئام أقَلَّهم عَدَدَاً، وأشجَعَهم لِقَاءً وكانت لبني رِئَام عجوز تسمى خُوَيْلَةَ، وكانت لها أَمَةٌ من مُوَلَّدَات العربِ تسمى زَبْرَاءَ، وكَانَ يدْخُلُ على خُوَيْلَةَ أربعون رجلاً، كُلُّهُمْ لها مَحْرَمٌ، بنو إخوة وبنو أخَوَات، وكانت خويلة عَقِيماً، وكَانَ بنو ناعب، وبنو داهن متظاهِرين على بني رئام، فاجتمع بنو رئام ذات يوم في عُرْس لهم، وهم سبعون رجلاً، كلهم شجاع بَئِيس[51]، فَطَعِمُوا وأقبلوا على شرابهم، وكانت زبراء كَاهنةً، فقالت لخويلة: انطلقي بنا إلى قومكِ أُنْذِرْهُمْ، فأقبلت خويلة تتوكَّأ على زَبْرَاء، فلما أبصرها القوم، قاموا إجلالاً لها، فقالت: «يَا ثَمَرَ الأكباد، وَأَنْدَادَ[52] الأولاد، وشَجَا[53] الحُسَّاد، هذه زَبْرَاءُ، تخبركم عن أنباء، قبل انْحِسَارِ الظَّلْمَاء، بالمُؤَيِد[54] الشَّنْعَاء، فاسمعوا ما تقول»، قالوا: وما تقولين يا براء؟ قالت: «واللُّوحِ[55] الخافِقِ، والليل الغَاسِقِ[56]، والصَّبَاحِ الشَّارِقِ، والنَّجم الطَّارِق[57]، والمُزْنِ الوادِقِ[58]، إن شجر الوَادي لَيَأْدُو خَتْلاً[59]، ويَحْرُقِ أنياباً عُصْلاً[60]، وإن صَخْرِ الطَّوْدِ لَيُنْذِر ثُكْلاً[61]، لا تجدون عنه مَعْلاً»[62].

فوافقت قوماً أَشَارى[63] سُكَارى، فقالوا: «رِيحٌ خَجُوجٌ[64]، بَعِيدَةُ ما بين الْفُرُوج، أتت زَبْرَاءُ بِالأَبْلَقِ النَّتُوج»[65].

فقالت زبراء: «مَهْلاً يا بني الأعِزَّة، والله إني لأَشَمُّ ذَفَر[66] الرجال تحت الحديد» فقال لها فتى منهم يقالُ له هُذَيل بن مُنْقِذ: «يَا خَذَاقِ[67]، والله ما تشمِّين إلا ذَفَرَ إبْطِيك» فانصرفت عنهم وارتابَ قومٌ من ذوي أسنانهم، فانصرف منهم أربعون رجلاً، وبقي ثلاثون، فَرَقَدُوا في مَشْرَبهم، وطَرَقْتهم بنو داهن وبنو ناعب، فقتلوهم أجمعين، وأقبلت خُويلة مع الصباح، فوقفت على مصارعهم، ثم عَمَدت إلى خناصرهم، فقطعتها وانتظمَت منها قلادَةً، وألْقَتْهَا في عُنقها، وخرجت حتى لَحِقت بمَرْضاوي بن سَعْوَة المَهْرِيّ، وهو ابن أختها فأنا خت بفنائه، فاستعْدَته على بني داهن وبني ناعب، فخرج في مَنْسِرٍ[68] من قومه، فطرقهم فأوجع فيهم.

(الأمالي 1: 126)



الهوامش

(1) الميسم والوسامة: أثر الحسن.

(2) النجائب جمع نجيب: وهو البعير والفرس إذا كانا كريمين عتيقين، والفره: (كقفل وركع وكتب) جمع فاره، وهو من الدواب الجيد السير النشيط الخفيف.

(3) الربيبة: الحاضنة.

(4) الوصيد: الفناء (بالكسر) والعتبة.

(5) الأسوة: القدوة.

(6) السنابك جمع سنبك كقنفذ: وهو طرف الحافر، أي أنه يجهد الخيل في كومة الوغى.

(7) الغمر: معظم البحر، والكريم: الواسع الخلق.

(8) النهد: الأسد، والكريم.

(9) عجم العود إذا عضه ليعرف صلابته من خوره.

(10) المشتمة: مصدر شتم، والمعنى: أنه في حرز من أن يشتم ويسب عرضه، لحسن فعله وكرم خلقه.

(11) الجمجمة: إخفاء الشيء في الصدر.

(12) نعم كسمع ونصر وضرب فهو ناعم: أي ذو تنعم وترفه.

(13) العتيد: الحاضر المهيأ.

(14) النِّصَاب: الأصل.

(15) بعيد.

(16) جدلة: صرعه على الجدالة (كسحابة) وهي الأرض.

(17) حامل.

(18) نكل عنه كضرب ونصر وعلم: نكص وجبن.

(19) الدخل: ما يبطن في الشيء، وهو مثل يضرب للرجل له منظر ولا مخبر له.

(20) الأفوه: وصف من الفوه بالتحريك، وهو سعة الفم.

(21) الزوجة.

(22) لقب بذلك، لأنه كَاْنَ يلبس كل يوم حلتين، ويمزقهما بالعشى، يكره العود فيهما، ويأنف أن يلبسهما غيره.

(23) رعدت السماء وبرقت (كنصر)، وأرعدت السماء وأبرقت، وأنكر الأصمعي الرباعي فيهم.

(24) الوصيف: الخادم والخادمة.

(25) اليربوع: دويبة نحو الفأرة لكن ذنبه وأذناه أطول منها؛ ورجلاه أطول من يديه عكس الزرافة.

(26) يقال: سلحفاة وسلحفاء وسلحفا، ويقال أيضاً سلحفا ساكنة اللام مفتوحة الحاء.

(27) قال قيلا: نام في القائلة، وهي نصف النهار، والمراد هنا الإقامة والمكث.

(28) الغمر: الماء الكثير.

(29) الثكل كسبب وقفل: الموت والهلاك.

(30) البرح: الشدة.

(31) الأجم جمع أجمة: وهي الشجر الكثير المتلف، والصرم: الجماعة والفرقة تجمع على فرق، وجمع الجمع أفراق، وجمع جمع الجمع أفاريق، والجلاميد جمع جلمود كعصفور: الصخر.

(32) العرم: السد يعترض به الوادي (ومن معانيه أيضاً المطر الشديد، والجرذ، وواد جاء السيل من قبله).

(33) سحلة كمنع: قشره ونحته، وقصمه: كسره.

(34) البطحاء والأبطح: مسيل واسع فيه دقاق الحصى.

(35) السهلة بالكسر: تراب كالرمل يجيء به المساء، وأرض سهلة كفرحة: كثيرتها.

(36) مأرب: مدينة باليمن، وكانت في الزمان الأول قاعدة التابعة، وهي بمدينة بلقيس، بينها وبين صنعاء نحو أربع مراحل، وتسمى سبأ باسم بأنيها سبأ بن يشجب بن يعرب بن قطحان.

(37) وقد خشى أن يستنكر الناس عليه ذلك، فأمر أحد أولاده إذا دعا لما يدعوه إليه أن يتأبى عليه، وأن يفعل ذلك به في الملأ من الناس، وإذا لطمه، يرفع هو يده ويلطمه، ثم صنع طعاماً وبعث إلى أهل مأرب أن عمراً صنع يوم مجد وذكر، فاحضروا طعامه. فلما جلس الناس للطعام جلس عنده ابنه الذي أمره بما أمر؛ فجعل يأمره بأمور فيتأبى عليه وينهاه فلا ينتهي، فرفع عمرو يده فلطمه على وجهه فلطمه ابنه؛ وكَاْنَ اسمه ملكاً، فصاح عمرو وأذلاه يوم فخر عمرو يهيجه صبي ويضرب وجهه، وحلف ليقتلنه، فلم يزالوا بعمرو يرغبون إليه حتى تركه، فقال: والله لا أقيم بموضع صنع بي فيه هذا: ولأبيعن أموالي حتى لا يرث منها بعدي شيئاً، فقال الناس بعضهم لبعض: اغتنموا غضب عمرو واشتروا منه أمواله قبل أن يرضى فابتاع الناس منه كل أمواله التي بأرض مأرب، وفشا بعض حديثه فيما بلغه من شأن سيل العرم، فقام ناس من الأزد فباعوا أموالهم، فلما كثروا البيع استنكر الناس ذلك فأمسكوا أيديهم عن الشراء، ولما اجتمعت إلى عمرو أمواله أخبر الناس بشأن سيل العرم، ولما خرج عمرو من اليمن خرج لخروجه منها بشر كثير، فنزلوا أرض عك فحاربتهم عك. فارتحلوا عنها، ثم اصطلحوا وبقوا بها حتى مات عمرو بن عامر، وتفرقوا على البلاد، فمنهم من صار إلى الشام، وهم أولاد جفنة بن عمرو بن عامر، ومنهم من صار إلى يثرب، وهم ابنا قيلة الأوس والخزرج، وأبوهما حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، وصارت أزد الشراة إلى أرض الشراة؛ وأزد عمان إلى عمان، وصار ملك ابن فهم إلى العراق، ثم خرجت بعد عمرو بيسير من أرض اليمن طيئ فنزلت جبل طيئ أجأ وسلمى، ونزلت ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر تهامة، وسموا خزاعة لانخزاعهم من إخوانهم وتمزقوا في البلاد كل ممزق.

(38) كَاْنَ السد فيما يذكر قد بناء لقمان الأكبر بن عاد، وكَاْنَ رصفه لحجارة السد بالرصاص والحديد ويقال إن الذي بناه كَاْنَ من ملوك حمير، وذلك أن الماء كَاْنَ يأتي أرض سبأ من الشحر وأودية اليمن، فردموا ردما بين جبلين وحبسوا الماء، وجعلوا في ذلك الردم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض، فكانوا يسقون من الباب الأعلى ثم من الثاني ثم من الثالث، فأخصبوا وكثرت أموالهم، فلما كذبوا رسولهم أرسل الله عليهم سيل العرم.

(39) الواسع الشدق.

(40) وكانوا يسكنون مكة، فأرسل إليهم عمرو أن أفسحوا لنا في بلادكم حتى نقيم قدر ما نستريح ونرسل رواداً إلى الشام وإلى الشرق، فحيثما بلغنا أنه أمثل لحقنا به، فأبت ذلك جرهم إباء شديداً، وقالوا: لا والله ما نحب أن ينزلوا فيضيقوا علينا مرابعنا ومواردنا، وكانت الحرب بين الفريقين، وانهزمت جرهم فلم يفلت منهم إلا الشريد.

(41) كهن كهانة بالفتح فهو كاهن، وحرفته الكهانة بالكسر.

(42) كَاْنَ لسبأ جنتين، يميناً وشمالاً.

(43) المزاد والمزايد جمع مزادة: وهي الرواية.

(44) المشيد: المرفوع، قال مسلم بن الوليد في رثاء يزيد بن مزيد: أما هدت لمصرعه نزار بلى، وتقوض المجد المشيد.

(45) قسره على الأمر: قهره.

(46) الأراك: القطعة من الأرض، وموضع بعرفات، وجبل بهذيل.

(47) مر بن أد بن طابخة.

(48) المحل: الشدة والجذب.

(49) هو عمرو بن هند، لأنه حرق مائة من بني تميم.

(50) متجاورين.

(51) البئيس: الشجاع، من بؤس ككرم بأساً.

(52) أنداد: جمع ند بالكسر، وهو المثل والنظير.

(53) الشجا: ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه.

(54) المؤيد: الداهية والأمر العظيم.

(55) اللوح بالضم والفتح (والضم أعلى): الهواء بين السماء والأرض.

(56) غسق الليل كجلس: اشتدت ظلمته.

(57) الطارق: في الأطل، كل من أتى ليلاً، ثم استعمل في النجوم لطوعها ليلاً.

(58) المزن: السحاب أو بيضه أو ذو الماء، والوادق من ودق المطر كوعد: قطر.

(59) أدوات له أدو أدوا إذ ختلته وخدعته (ودأيت له، ودألت له أيضاً) والختل: الخدع.

(60) حرق أنيابه: إذا حك بعضها ببعض، والعرب تقول عن الغضب يغضبه الرجل على صاحبه: «هو يحرق على الأرم» والأرم كسكر: الأضراس، والعصل: المعوجة جمع أعصل.

(61) الطود: الجبل، والثكل؛ الفقد.

(62) المعل: المنجى.

(63) الأشر محركة: المرح.

(64) الخجوج: السريعة المر.

(65) الأبلق: وصف من البلق محركة، وهو ارتفاع البياض في قوائم الفرس إلى الفخذين، والأبلق لا يكون نتوجاً، والعرب تضرب هذا مثلاً للشيء الذي لا ينال، تقول «طلب الأبلق العقوق، فلما فاته أراد بيض الأنوق» والعقوق كصبور: الحامل، والأنوق كصبور أيضاً: الذكر من الرخم ولا بيض له، هذا قول بعض اللغويين. فالمعنى أنه طلب ما لا يمكن، فلما لم يجد طلب أيضاً ما لا يكون ولا يوجد، وعامتهم يقولون: الأنوق الرخمة وهي تبيض في مكَاْنٍ لا يوصل فيه إلى بيضها إلا بعد عناء. فالمعنى أنه طلب مالاً يقدر عليه، فلما لم ينله طلب ما يجوز أن يناله.

(66) الذفر: حدة الريح، يكون في النتن والطيب (والذفر لا يكون إلا في النتن).

(67) خذاق: كناية عما يخرج من الإنسان، يقال: خذق ومزق وزرق.

(68) المنسر من الخيل: ما بين الثلاثين إلى الأربعين، أو من الأربعين إلى الخمسين، أو إلى الستين أو المائة إلى المائتين، وقطعة من الجيش تمر قدام الجيش الكبير.



# 3. قالت الاعراب

## اعراب يصفون المطر

سئل أعرابيّ عن مَطَر فقال: اسْتَقَلَّ سُدٌّ مع انتشار الطَّفَل، فَشَصَا واحْزَألّ؛ ثم اكْفَهَرَّت أرجاؤه، واحْمَوْمَتْ أرحاؤه؛ وابْذَعَرَّتْ فَوَارِقه، وتَضَاحَكَتْ بَوَارِقُه، واسْتَطَار وادِقُه؛ وارْتَتَقَتْ جُوَبُه، وارْتَعَنَ هَيْدَبُه؛ وحَشَكَتْ أخلافُه، واسْتَقَلَّت أردافُه، وانتشرت أكنافه؛ فالرَّعْد مُرْتَجِس، والبرق مُخْتَلِس، والماء مُنْبَجِس؛ فأتْرَعَ الغُدُر، وانْتَبَثَ الوُجُر؛ وخَلَط الأوعال بالآجال، وقَرَنَ الصِّيران بالرِّئال؛ فللأودية هَدِير، وللشِّرَاج خَرِير، وللتِّلاع زَفِير؛ وحَطَّ النَّبْعَ والعُتْم، من القُلَل الشُّمّ، إلى القيعَان الصُّحْم؛ فلم يَبْقَ في القُلَل إلا مُعْصمٌ مُجْرَنْثِم، أو داحصٌ مُجَرْجَم؛ وذلك من فضل رب العالمين، على عباده المذنبين[1].

سمعت اعرابياً من غنيّ يذكر مطرا صاب بلادَهم في غِبِّ جَدْب فقال: تَدَارَك ربُّك خَلْقه وقد كَلِبتِ الأمحال، وتقاصرت الآمال؛ وَعكَفَ الْيَاس، وكُظِمَتِ الأنفاس؛ وأصبح الماشى مُصْرِما، والمُتْرِب مُعْدِما؛ وجُفِيَت الحلائل، وامْتُهِنَت العَقَائل؛ فأنشأ سحابا رُكَاما، كَنَهْوَراً سَجَّاما؛ بُرُوقه متألِّقة، ورُعُوده مُتَقَعْقِعة؛ فَسَحَّ ساجيا راكدا، ثلاثا غير ذى فُوَاق؛ ثم أمَرَ ربُّك الشَّمال فَطَحَرت رُكَامه، وفَرَّقَت جَهَامَه؛ فانْقَشَع محمودا، وقد أحيا وأغنى، وجاد فأرْوَى؛ والحمد لله الذي لا تُكَتُّ نِعَمه، ولا تَنْفَد قِسَمُه؛ ولا يَخِيبُ سائلُه ولا يَنْزُر نائله[2].

## وصف الأرض

أجْدَبَتْ بلاد مَذْحِج فأرسلوا رُوَّادا من كل بطن رجلا، فبعثتْ بنو زَبيد رائداً، وبعثت النَّخَع رائداً، وبعثت جُعْفِيُّ رائدا؛ فلما رجع الرُّوَّاد قيل لرائد بنى زبيد: ما وراءك؟ قال:

رأيت أرضاً مُوشِمَةَ البِقَاع، ناتِجَةَ النِّقَاع؛ مُسْتَحْلِسَةَ الغِيطَان، ضاحِكَة القُرْيان؛ واعدةً وأحْرِ بوفائها، راضيةً أرضُها عن سمائها.

وقيل لرائد جعفى: ما وراءك؟ قال:

رأيت أرضا جَمَعَت السماءُ أقطارَها، فأمْرَعَتْ أصْبارَها، فبُطْنانُها غمِقَة، وظُهْرانُها غَدِقَة، ورياضُها مُسْتَوسقة؛ ورَقَاقُها رائخ، وَوَاطُنها سائح؛ وماشِيها مَسْرُور، ومُصْرِمُها محسور. وقيل للنَّخَعيّ: ما وراءك؟ قال: مَدَاحِى سَيْل، وزُهَاء لَيْل، وغَيْلٌ يواصى غَيْلا؛ قد ارْتَوَتْ أجْرازُها، ودُمِّثَ عَمَزازُها – وقال مرة: ودَمِثَ – والْتَبَدَتْ أقوازُها؛ فَرَائدُها أنِق، ورَاعِيها سَنِ؛ فلا قَضَض، ولا رَمَض؛ عازِبُها لا يُفْزَع، ووارِدُها لا يُنْكَع؛ فاختاروا مَرَادَ النَّخَعى[3].

الهوامش

[1] الامالي، ج1، أبو علي القالي، ص 241 – 341.

[2] رواه عبد الرحمن عن عمه، نفس المصدر، ص 171.

[3] رواه الأصمعي، نفس المصدر، ص 371.



# حكاية

أخبرك أيها الملك، خرج هَجِينانِ مِناَ يرْعَيان غنماً لهما فَتَشَاولا بسيفهما فأصابَ صاحبهُم عَقِبَ صاحبنا، فعاث فيه السيف فَنُزِف فمات، فسألونا أَخْذَ دِيةِ صاحبنا دِيةَ الهَجِين وهي نصف دية الصَّرِيح، فأبى قومى وكَاْنَ لنا رِباءَ عليهم، فأبَيْنَا إلاّ دِيةَ الصَّرِيح وأبَوا إلاّ دية الهجين، فكَاْنَ اسم هجيننا ذُهَيْن ابن زَبْراء، واسم صاحبهم عنْقَش بن مُهَيْرة وهي سوداء أيضاً[1]، فَتَفَاقَمَ الأمر بين الحَيَّيْن، فقال رجل منا:

حُلُومَكُمُ يا قَوْم لا تُعْزِبُنَّها[2]
ولا تقْطَعوا أرحامَكم بالتَّدَابُر
وأدَّوا إلى الأقوام عقْلَ ابن عمِّهم
ولا تُرْهِقُوهم سُبَّةً في العَشائر
فإنَّ ابْنَ بْراء الذي فادَ لم يكن
بدون خُلَيْف أو أسَيْدِ بن جابر
فإن لم تُعَاطوا الحقَّ فالسَّيْفُ بيننا
وبينكُم والسَّيفُ أجْوَرُ جائر

فَتَظَاهروا علينا حسدا، فأجمع ذَوُوا الحِجا مِنَّا أن نَلْحَق بأمْنَعِ بطن من الأزْد، فَلَحِقنا بالنِّمر بن عثمان فوالله مافَتَّ في أعضادنا، فأُبْنا عنهم ولقد أثَّأرْنا صاحِبَنا وهم راغمون. فَوَثَبَ طَرِيف بن العاصى من مجلسه فجلس بإزاء الحارث ثم قال: تالله ما سمعتُ كاليوم قولا أبْعَدَ من صواب، ولا أقرب من خَطَل، ولا أجْلَب لقَذَع من قول هذا، والله أيها الملك! ما قَتَلُوا بَهِجينهم بَذَجا، ولا رَقُوا به دَرَجا؛ ولا أُنْطُوا به عَقْلا، ولا اجْتَفَثوا به خَشْلا؛ ولقد أخرجهم الخوف عن أصلهم، وأجْلاهم عن مَحَلِّهم؛ حتى اسْتَلاَنُوا خُشونة الإزعاج، ولَجَئوا إلى أضْيَق الوِلاج، قُلاًّ وذُلاً. فقال الحارث: أتسمع يا طريف؟ إنِّى والله ما إخالُك كافًّا غَرْبَ لسانك، ولا مُنَهْنِهاً شِرَّة نَزَوانك، حتى أسْطُوَبك سَطْوةً تَكُفُّ طِمَاحك، وتردّ جِمَاحك، وتَكْبِت تَتَرُّعَك، وتَقْمَع تَسَرُّعَك؛ فقال طريف: مَهْلاً يا حارث، لا تَعْرِض لِطَحْمة اسْتِنَانى، وذَرَب سِنَانى، وغَرْب شَبَابى، ومِيسَم سِبَابى، فتكون كالأظَلِّ المَوْطُوء، والعَجْب الموْجُوء؛ فقال الحارث: إيَّاى تُخَاطِب بمثل هذا القول! فوالله لَوْ وطِئْتُك لأسَخْتُك، ولو وَهَصْتُك لأوَهَطْتُك، ولو نَفَحْتُك لأفَذْتُك؛ فقال طريف متمثلاً

وإنَّ كلامَ المرءِ في غَيْر كُنْهِه
لَكَالنَّبْل تَهْوِى ليس فيها نِصَالُها

لَئِنْ لم تَرْبَعْ على ظَلْعِك، وتَقِفْ عند قَدْرِك، لأدَعَنَّ حَزْنَك سَهْلا، وغَمْرَك ضَحْلا، وصَفَاك وَحْلا؛ فقال الحارث: أما والله لو رُمْتَ ذلك لَمُرغْتَب بالحَضِيض، وأغْصِصْت بالجَرِيض؛ وضاقت عليك الرِّحاب، وتَقَطَّعَتْ بك الأسباب؛ ولأُلْفِيتَ لَقًّى تهاداه الرَّوامِس، بالسَّهْب الطامس؛ فقال طريف: دُونَ ما ناجَتْكَ به نَفْسُك مُقَارَعةُ أبطال، وحِيَاض أهْوال، وحَفْزة إعْجال، يُمْنَع معه تَطَامُن الإمهال؛ فقال الملك، إيِّها عَنْكُما! فما رأيت كاليوم مَقال رَجُلَيْن لم يَقْصِبا، ولم يَثْلِبا، ولم يَلْصُوَا، ولم يَفْقُوا[3].

# من نساء يصفن رجالاً وأزواجاً مثاليين

(مطلب حديث النسوة اللاّتي أشرن على بنت الملك بالتزوّج ووصفن لها محاسن الزوج وشرح غريب ذلك).

كَاْنَ قَيْلُ من أقيال حِمْير مُنِع الولَد دهرا ثُم وُلِدتْ له بنتُ فَبنَى لها قصراً مُنِيفا بعيداً من الناسِ، ووكَّل بها نساءً من بنات الأقْيال يَخْدُمْنْها ويؤدّبْنَها حتى بلغت مبلغ النساء، فنشأتْ أحسنَ منشأ وأتَمَّهُ في عقلِها وكمالِها، فلمَّا ماتَ أبوها مَلَّكَها أهلُ مِخْلافها، فاصْطَنَعت النِّسوةَ اللواتي رَبَّيْنها وأحسنت إليهنَّ وكَاْنَتْ تشاورهنَّ ولا تقطعُ أمراً دُونهنَّ، فقلنَ لها يوماً: يا بنتَ الكرام، لو تزوّجْتِ لَتَمَّ لك المُلْك، فقالتْ: وما الزَّوجُ؟ فقالتْ إحداهِنَّ الزوجُ عِزٌّ في الشدائد، وفي الخُطوب مُساعِد؛ إن غَضِبْتِ عَطَف، وإن مَرِضْت لَطَف؛ قالت: نِعمَ الشيء هذا! فقالت الثانية: الزوجُ شِعَارى حينَ أصْرَد، ومُتَّكَئي حينَ أرْقُد، وأُنْسِى حين أفْرُد؛ فقالت: إنَّ هذا لمنْ كمالِ طيبِ العيش. فقالت الثالثة: الزَّوْجُ لِمَا عَنَانى كافٍ، ولمَا شَفَّنى شاف، يَكْفيني فَقْدَ الأُلاف؛ ريقُهُ كالشُّهْد، وعِنَاقُه كالخُلْد؛ لا يُمَلُّ قِرَانُه، ولا يخافُ حِرَانُه، فقالت: أمْهِلْنى أنظرْ فيما قُلتنَّ، فاحتجبتْ عنهنَّ سبعاً ثمَّ دَعَتْهُنَّ فقالتْ: قدْ نظرتُ فيما قلتنَّ فَوَجَدْتُنى أُمَلِّكُهُ رِقِّى، وأُبِثُّه باطلي وحقِّي، فإنْ كَاْنَ محمودَ الخَلائق، مأمونَ البَوائِق؛ فقدْ أدْرَكْتُ بِغيتي، وإن كَاْنَ غيرَ ذلك فقدْ طالتْ شِقْوَتى؛ على أنَّهُ لا ينبغي إلا أنْ يَكونَ كُفْئاً كريماً يَسُودُ عِشيرَتَهُ، ويَرُبُّ فَصِيلتَهُ؛ لا أتَقَنَّعُ بهِ عَاراً في حياتي، ولا أرفعُ بِهِ شَنَاراً لقومي بعد وفاتي؛ فَعَلَيْكُنَّه فابْغِينَه وتَفرَّقْنَ في الأحياء، فأيُتُكّن أتتنى بما أُحِبُّ فلها أجزلُ الحِباء، وَعَليَّ لها الوفاء؛ فخرجْن فيما وجَّهَتْهُنّ له، وكنّ بناتِ مَقَاوِل ذواتِ عقلٍ ورأى، فجاءتها إحداهنَّ وهي عَمَرَّطة بنت زرعة بن ذى خَنْفَر فقالت: قد أصَبْتُ البِغُيْة، فقالت: صِفِيه ولا تُسَمِّيه. فقالت: غَيْثُ في المَحْل، ثِمَالٌ في الأزْل، مُفِيد مِبيد، يُصْلِح النائر، ويَنْعَش العاثر؛ ويَغْمُر النِّدى، ويَقْتاد الأبِى؛ عِرْضُهُ وَافِر، وحَسَبُهُ باهر؛ غَضُّ الشباب، طاهرُ الأثواب. قالت: ومن هو؟ قالت: سَبْرة بن عوَّال بن شدَّاد بن الهمَّال. ثم خلت بالثانية فقالت: أصبتِ من بغُيْتك شيئاً؟ قالت: نعم، قالت: صِفِيه ولا تسميِّه. قالت: مُصَامِصُ النَّسَب، كريمُ الحَسَب، كاملُ الأدب؛ غزيرُ العطايا، مألوفُ السجايا؛ مُقْتَبلُ الشباب، خَصِيبُ الجناب؛ أمْرُهُ ماض، وعِشَيرهُ راض. قالت: ومن هو؟ قالت: يَعْلَى بن هَزَّال بن ذى جَدَنٍ. ثم خلت بالثالثة فقالت: ما عِنْدَك؟ قالت: وجدتُهُ كثيرَ الفوائد، عَظيم المَرافِد؛ يُعْطِى قبل السؤال، ويُنيلُ قبل أن يُسْتَنال؛ في العشيرةِ مُعظَّم، وفي النديّ مُكّرم؛ جمُّ الفَوَاْضل، كثيرُ النَّوافل، بذأل أموالٍ، مُحَقِّق آمالٍ، كريمُ أعمام وأخوال؛ قالت: ومن هو؟ قالت: رَوَاحة بن خُمَير بن مضى بن ذى هُلاهِلة؛ فاختارت يَعْلَى بن هَزَّال فتزوجتْه، فاحتجبتْ عن نسائها شهراً ثم بَرَزَتْ لهن، فأجزلت لهن الحِبَاء، وأعْظَمَتْ لهن العطاء.

# المجادلات والمخاصمات

كَاْنَ مَرْثَد الخَيْرِ بن يَنْكَف بنِ نوف بن مَعْدِ يكَرِب بن مُضْحِى قَيْلا، وكَاْنَ حَدِباً على عشيرته مُحِباً لصلاحهم، وكَاْنَ سُبَيْع بن الحارث أخو عَلس – وعَلَس هو ذو جَدَن – وميثم بن مثوب ابن ذى رُعَيْن تتنازَعا الشَّرف حتى تَشاحَنا وخيف أن يقع بين حَيَّيْهما شرٌّ فيَتَفَانى جِذْماهما؛ فبعث إليهما مَرْثَد فأحضرهما لُيْصلح بينهما، فقال لهما:

إنَّ التَّخَبُّطَ وامْتِطاء الهَجَاج، واسْتِحْقاب اللَّجَاج، سَيَقِفُكُما على شَفا هُوَّةٍ في تَوَرُّدِها بَوار الأصِيلَة، وانقطاعُ الوَسِيلة؛ فَتَلافَيا أمرَكُما قَبْل انْتِكاث العَهْد، وانْحِلال العَقْد، وتَشَتُّت الأُلْفة، وتَبَايُن السُّهْمة، وأنتما في فُسْحة رافِهة، وقدم واطِدة، والمَوَدَّةُ مُثْرِيَة، والبُقْيا مُعْرِضة؛ فقد عَرَفْتم أنْباءَ من كَاْنَ قَبْلَكم من العَرَب ممن عَصَى النَّصِيح، وخالف الرشيد، وأصْغَى إلى التقاطع؛ ورأيتم ما آلت إليه عواقب سوء سعيهم، وكيف كَاْنَ صَيُّور أمورهم؛ فَتَلافَوُا القَرْحة قبل تَفَاقُم الثَّأَى واسْتِفْحال الداء وإعْوازِ الدَّواء، فإنَّهُ إذا سُفِكَت الدماء اسْتَحْكَمَت الشَّحْناء، وإذا استحكمت الشحناءُ تقضَّبْتْ عُرَى الإبقاء وشَمِل البلاء؛ فقال سُبَيْع: أيُّها الملك، إن عداوة بنِي العَلات لا تُبْرئها الأُسَاة، ولا تَشْفيها الرُّقاة، ولا تَسْتَقِلُّ بها الكُفاة؛ والحَسَدُ الكامن، هو الداءُ الباطن؛ وقد عَلمَ بَنُو أبينا هؤلاءِ أنَّا لهمْ رِدْءُ إذا رَهِبوا، وغَيْثُ إذا أجْدَبوا، وعضُدٌ إذا حاربوا، ومَفْزَع إذا نُكِبوا.

فقال ميثم: أيها الملك، إن من نَفِسَ على ابن أبيه الزَّعامة، وجَدَبَه في المَقَامة، واستكثر له قليل الكَرامة، كَاْنَ قَرِفاً بالملامة، ومُؤنَّباً على تركِ الاستقامة؛ وإنَّا واللهِ ما نَعْتَدُّ لهمْ بِيَد إلا وقد نالَهُمْ منا كِفَاؤها، ولا نَذْكُر لهم حَسَنة إلا وَقَدْ تَطَلَّع منا إليهم جزاؤها، ولا يَتَفَيَّأ لهم علينا ظلُّ نعمة إلا وقد قُوبِلوا بَشْرواها؛ ونحن بَنُو فَحْلٍ مُقْرَم لم تَقْعُد بنا الأمَّهات ولا بهم، ولم تَنْزِعْنا أعراق السُّوء ولا إياهم؛ فَعَلاَمَ مطُّ الخُدود وخزَر العُيون، والجَخِيفُ والتَّصَعُّر، والبَأْوُ والتكبر؟ ألكِثْرَة عَدَد، أم لفَضْل جَلَد، أم لطول مُعْتَقَد؟

ومَقَاطِعُ الأمور ثلاثة: حَرْبُ مُبيرة، أو سَلْمُ قِريرة، أو مُداجاةُ وغَفِيرة؛ فقال المَلِك: لا تُنْشِطُوا عُقُلَ الشِّوارد، ولا تُلْحِقوا العُونَ القَواعد؛ ولا تُؤَرِّثوا نِيران الأحقادِ ففيها المتْلَفة المُسْتأْصِلة، والجائحة والألِيلة؛ وعَفُّوا بالحِلْم أبْلادَ الكَلْم، وأنِيبُوا إلى السبيل الأرشد والمَنْهَج الأقصد، فإن الحرب تُقْبِل بزِبْرج الغُرور، وتُدْبِرُ بالويلى والثُّبُور.

فقالا: لا أيها الملك، بل نَقْبَل نُصْحَك، ونُطِيع أمرك، ونُطفئ الناثرة، ونَحُلُّ الضِّغائن، ونَثُوب إلى السَّلْم.

المِخْلاف: الكُورة. وأصْرَد: أبْرُد. ويَرُبُّ: يجمع ويُصْلِح.

تَرَبَّعت: أقامت في الربيع. والحُرُض: الأشْنان. والحَمْض: ما مَلُح من النبات. وتَهُضُّ: تَدُقُّ.

وشِمْنَ: فَتَحْن المُغْضِى فينظر اليهن وهن مثل العذارى في الحسن.







## حكم ومواقف من الوجود والطلل

عاش أوس بن حارثة دهْراً وليس له وَلَدٌ إلا مالك، وكَاْنَ لأخيه الخَزْرَج خمسةٌ: عمرو وعوْف وجُشَم والحارث وكَعْب. فلما حَضَره الموت قال له قومه: قد كنا نأمرك بالتزوّج في شبابك تَزَوَّج حتى حضرك الموت. فقال أوس: لم يَهْلِك هالك تَرَك مثل مالك، وإن كَاْنَ الخزرج ذا عدَد، وليسَ لمالك ولَد، فَعَل الذي استخْرج العَذْقَ من الجَريمة، والنارَ من الوَثِيمة، أن يجعل لمالك نَسْلا، ومالك، المَنِيَّة ولا الدَّنِيَّة؛ والعِتَاب قبل العِقاب؛ والتَّجَلُّد لا التبرر. واعلم أن القَبْر خير مِن الفقر؛ وشرَّ شاربٍ المُشْتَف، وأقْبَح طاعم المُقْتَف؛ وذهاب البصر، خير منْ كثير من النضر، ومِنْ كَرَم الكريم الدَّفاعُ عن الحريم؛ ومَنْ قَلَّ ذَلَّ، ومن أمِرَ فَل؛ وخَيْر الغِنَى القدعة. وشرُّ الفقْر الضَّرَاعةُ؛ والدَّهْر يومان، فيوْم لك ويومُ عليك؛ فإذا كَاْنَ لك فلا تَبْطَر، وإذا كَاْنَ عليك اصْبِر. فكلاهما سَيَنْحِسر، تعزُّ منْ تَرَى، ويعُزُّك من لا تَرَى؛ ولو كَاْنَ الموت يُشترَى تسلم منه أهل الدنيا، ولكن به مُستوُون: الشَّرِيف الأبْلَج، واللَّئِيم المُعَلْهَج؛ والموتُ نُيت، خير من أن يقال لك: هَبِيت، وكيف بالسَّلاَمة، لمن ليست له إقامة؛ وشرُّ من المُصيبة سُوءُ خَنف، وكلُّ مجموعٍ إلى تَلَف؛ حَياك إلهُك! قال: فَنَشَر اللهُ من مالكٍ بعدد[4].

## اعراب وجاهليون في صدر الأسلام

أخبرنا أبو زيد قال: بينا أنا في المسجد الحرام إذ وَقَفَ علينا أعرابي فقال: يا مسلمون، إن الحمد لله والصلاة على نبيه، إني امرؤ من أهل هذا الملْطَاط الشَّرْقى المُوَاصى أسْيافَ تِهامة، عَكَفَتْ عَلَىَّ سُنون مُحُش، فاجْتَبَّت الذُّرَى، وهَشَمَت العُرَى؛ وجَمَشَت النِّجْم، وأعْجَت إلَيَهْم، وهَمَّتِ الشِّحْم، والتْجَبَت اللَّحْم، وأحْجنَت العَظْم؛ وغادَرَت التُّرَاب مَوْرا، والماء غوْرا؛ والناسَ أوْزاعا، والنَّبَط قُعَاعا، والضَّهْل جُزَاعا، والمَقَام جَعْجَاعا؛ يُصَبِّحنا الهاوى، ويَطْرُقُنا العاوى؛ فخرجت لا أتلفَّع بوَصِيدَه، ولا أتَقَوَّت هَبِيدَه؛ فالبَخَصات وَقِعة، والرُّكَبات زَلِعة، والأطراف قَفِعة؛ والجِسْمُ مُسْلَهِم، والنَّظَر مُدْرَهِم؛ أعْشُو فأغْطَش، وأضْحَى فاخْفَش، أُسْهِل ظالِعا، وأُحْزِن راكعا؛ فهل من آمِرٍ بمَيْر، أو داعٍ بخَيْر؛ وَقَاكم اللهُ سَطْوة القَادِر، ومَلَكَة الكاهِر، وسُوءَ المَوَارِد، وفُضُوح المَصَادِر. قال: فأعْطَيْتُه ديناراً، وكتبت كلامه واستفسرته ما لم أعرفه[5].

## مخاطبات

أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال: سمعت امرأة من العرب تخاصم زوجها وهي تقول: والله إن شُرْبَكَ لاشْتِفَاف، وإنَّ ضِجْعَتَك لانْجِفاف، وإن شِمْلَتَك لالتْفَاف، وإنك لَتَشْبَعُ ليلةَ تُضَاف، وتنام ليلة تَخَاف، فقال لها: والله إنْكِ لَكَرْواء السَّاقَيْن، قَعْواء الفَخذَيْن، مَقَّاء الرُّفْغَيْن، مُفَاضة الكَشْحَيْن؛ ضَيْفُكِ جائع، وشَرُّكِ شائع.

# المفاضلات والجود

وصف اعرابي صديقاً له:
كَاْنَ والله للإخاء وَصُولاً
وللمال بَذُولاً
وكَاْنَ الوَفَاءُ بهما عليه كَفِيلاً
ومنْ فاضَلَه كَاْنَ مَفْضُولاً

# نساء يصفن رجالاً

قالت عجوز من العرب لثلاث بناتٍ لها: صِفْنَ ما تُحِببْنَ في الأزواج؛ فقالت الكُبْرَى: أُرِيد أرْوَعَ بَسَّاما، أحَدَّ[6] مِجْداما؛ سَيَّدَ نادِيه، وثِمَالَ عافِيه، ومُحْسِبَ راجيه؛ فِنَاؤه رَحْب، وقِيَادُه صَعْب.

وقالت الوُسْطَى: أريده عالِيَ السَّنَاء، مُصَمِّمَ المَضَاء؛ عَظِيمَ نار، مُتَمِّم أيْسار؛ يُفِيد ويُبِيد، ويُبْدِئ ويُعِيد؛ هو في الأهْلِ صَبِى، وفي الجَيْشِ كَمِى، تَسْتَعْبِدُه الحَلِيله، وتُسَوِّدُهُ الفَضِيله.

وقالت الصغرى: أُريدهُ بازِلَ عام، كالمُهَنِّد الصِّمْصام؛ قِرَانُه حُبُور، ولِقاؤه سُرُور؛ إن ضَمَّ قَضْقَض، وإن دَسَرَ أغْمَض، وإنْ أخلَّ أحْمَض. قالت أمُّها: فُضِّ فُوك! لقد فَرَرْتِ لى شِرَّةَ الشَّبَاب جَذَعةً.

الهوامش

(1) قوله: وهي سوداء أيضاً كذا في الأصل، ولم يتقدم الحكم على شيء بالسواد، فلعله سقط من قلم الناسخ عند قوله زبراء وهي سوداء.

(2) أغرب حلمه: أذهبه.

(3) قال أبو علي: المَقَاوِل والأقْيَال: هم الذين دُوَن المَلك الأعظم. تَشَاوَلا: تضَارَبا. وعاثَ: أفْسد والعَيْث: الفساد. ونُزِف الرجلُ إذا سال دَمُه حتى يَضْعُف. والهجين: الذي أبوه عَرَبِيٌّ وأمه ليست بعربية. والمُقْرِف: الذي أمُّه عربية وأبوه ليس بعربي. والصَّرِيح: الخالص. والرِّباء: الزيادة، يقال: أرْبَى فلان على فلان في السِّبَاب يُرْبِى إرباء إذا زاد عليه، وأرْبَى يُرْبِى من الرِّبا وهو مقصور، والرِّباء ممدود: الرِّبا أيضا. وتَفَاقَم الأمرُ: اشتدّ. والعَقْل: الدِّيَة، يقال: عَقَلْت فلانا إذا غَرِمْت دِيَتَه، وعَقَلْت عن فلان إذا غَرِمْت عنه دِيَة جنايته، والمرأةُ تُعامِل الرجلَ إلى ثُلُث ديتها، يريد أن مُوضحتَها ومُوضِحته سواء، فإذا بَلَغ العَقْل ثلث الدية صارت دية المرأة على النصف من دية الرجل.

(4) قال أبو علي: قوله: فعل الذي استخْرَج العَذْق من الجريمة. العَذْق: النِّخْلة نفسها بلغة أهل الحجاز، والعِذْق لِكة. والجَرِيمة: النَّوَاة. والوَثِيمة: الموْثومة المربوطة، يريد به: قَدْحَ حوافِر أهله غَزَارةً، من العِزَّ. والمُعَلْهَج: المُتناهِي في الدَّناءة واللُّؤم، وكَاْنَ أبو بكر يقول: هو اللئيم في نفسه وآبائه. والهَبِيت: الأحمق الضعيف؛ قاله طَرَفة.

(5) قال أبو علي: قال أبو بكر: المِلْطاط: أشدُّ انخفاضا من الغائط وأوسع منه، وحكى اللحياني عن الأصمعي أنه قال: المِلْطاط: كلُّ شَفِير نَهَر أو وادٍ. والمُوَاصِي والمُوَاصِل واحد، يقال: تَوَاصى النَّبْتُ إذا اتصل بعضه ببعض. وأسْيَاف جمع سِيف، وهو ساحل البحر. وَعَكَفَت: أقامت. والسِّنُون: الجُدُوب. ومُحُش جمع مَحُوش، وهي التي تَمْحُش الكلأ، أي تُحْرِقه. واجْتَبَّت، افتعلت نم الجَبِّ، يقال: جَبَبْت السِّنَام إذا قطعته، وكل شيء استأصلته فقد جَببْته. وهَشَمَت: كَسَرَت. والعُرَى جمع عُرْوة، والعُرْوة: القطعة من الشجر لا يزال باقيا على الجدب تَرْعاه أموالهم.

قال أبو علي: غَمْلَى، فعْلى، وهو الذي قد تَرَاكَب بعضُه على بعض. وقَفِعة ومُقفَّعة واحد، وهي التي قد تَقَبَّضَتْ ويَبِسَتْ. وقال أبو بكر: المُسْلَهِمُّ: الضامر المتغير. قال أبو علي وقال أبو زيد: المُسْلَهِمُّ: المُدْبِر في جسمه، وتفسير أبي بكر أحسبه الكلام الأصمعي. والمُدْرِهُّم: الضعيف البصر الذي قد ضَعُف بصرهُ من جوع أو مرض. قال أبو علي: ولم يذكر هذه الكلمة أحدُ ممن عَمِلَ خَلْقَ الإنسان. وأعْشُو: أنْظُر، يقال: عَشَزْت إلى النار إذا أحْدَدْت نظرَك إليها.

(6) الأَحدُّ: الخفيف السريع.





## مقال سبيع بن الحرث

فَقَالَ سبيع:

أَيُّهَا المَلِكُ! إِنَّ عَدَاوَةَ بَنِى العَلات[1] لاَ تُبْرِئُهَا الأُسَاةُ[2]، وَلاَ تَشْفِيهَا الرُّقَاةُ، وَلاَ تَسْتَقِلُّ[3] بِهَا الْكُفَاةُ، وَالَحْسَدُ الْكَامِنُ، هُوَ الدَّاءُ الْبَاطِنُ، وَقَدْ عَلِمَ بَنُوأَبِينَا هؤُلاَءِ، أنّا لَهُمْ رِدْه[3] إذَا رَهِبُوا، وَغَيْثٌ إِذَا أَجْدَبُوا، وَعَضُدٌ إِذَا حَارَبُوا، وَمَفْزَعٌ إِذَا نُكِبُوا.

## مقال ميثم بن مثوب

فَقَالَ مَيثَم:

أَيُّهَا الملِكُ! إِنَّ مَنْ نَفِسَ عَلَى ابْنِ أَبِيهِ الزَّعَامَةَ، وَجَدَ بِه[5] فِي المَقَامَةِ[6]. وَاسْتَكْثَرَ لَهُ قَلِيلَ الْكَرَامَةِ، كانَ قَرِفاً[7] بِالمَلاَمَةِ، وَمُؤَنَّباً عَلَى تَرْكِ الاِسْتِقَامَةِ، وَإِنْا وَاللهِ مَا نَعْتَدُّ لَهُمْ بِيَدٍ إِلاّ وَقَدْ نَالَهُمْ مِنَّا كِفَاؤُهَا، وَلا نَذْكُرُ لَهُمْ حَسَنَةً إِلاّ وَقَدْ تَطَلَّعَ مِنَّا إِلَيْهَمْ جَزَاؤُهَا، وَلا يَتَفَيَّأُ لَهُمْ عَلَيْنَا ظِلُّ نِعْمَةٍ إِلاّ وَقَدْ قُوبِلُوا بِشَرْوَاهَا[8]، وَنَحْنُ بَنُو فَحْلٍ مُقْرَمٍ[9]، لَمْ تَقْعُدْ بِنَا الأُمَّهَاتُ وَلا بِهِمْ، وَلَمْ تَنْزِعْنَا أَعْرَاقُ السُّوءِ وَلا إِيَّاهُمْ، فَعَلاَمَ مَطُّ[10] الخُدُودِ، وَخَزَرُ الْعُيُونِ[11] وَالجَخَيفُ[12] وَالتَّصَعُّرُ، وَالبَأْوُ وَالتَّكَبُّرُ؟ أَلِكَثْرَةِ عَدَدٍ، أَمْ لِفَضْلِ جَلَدٍ، أَمْ لِطُولِ مُعْتَقدٍ[13]؟

## مقال مرثد الخير

فقَالَ المَلِكُ:

لاَ تُنْشِطُوا[17] عُقُلَ الشَّوَارِدِ، ولاَ تُلْقِحُوا الْعُونَ الْقَوَاعِدَ[18]، وَلا تُؤَرِّثُوا[19] نِيرَانَ الأَحْقَادِ، فَفِيهَا المَتْلَفَةُ المُسْتَأْصِلَةُ، وَالجَائِحَةُ[20] وَالأَلِيلَةُ[21]، وَعَفُّوا بِالحِلْمِ، أَبْلاَدَ[22] الْكَلْمِ، وَأَنِيبُوا إِلى السَّبِيلِ الأَرْشَدِ، وَالَمنْهَجِ الأَقْصَدِ، فَإِنَّ الحَرْبَ تُقْبِلُ بِزِبْرِجِ[23] الْغُرُورِ، وَتُدبر بالويل والثُّبور

فقالا: لا، أيها الملك. بل نقبل نُصحكَ، ونُطيع أمرك، ونطفئ النائرة[24]، ونَحُلّ الضغائن، ونثوب إلى السَّلم.

(الأمالى 1: 92)



الهوامش

[1] العلة: الضرة، وبنو العلات بنو أمهات شتى من رجل واحد، (والأخياف: من أمهم واحد والآباء شتى).

[2] جمع آس، وهو الطبيب.

[3] تنهض بها وتحملها.

[4] عون.

[5] عابه.

[6] لمجلس.

[7] خليقا.

[8] مثلها.

[9] القرم: السيد، وأقرمه جعله قرما.

[10] مد.

[11] الخزر أن ينظر الرجل إلى أحد عرضيه. يقال إنه ليتخازر إذا نظر إليه بمؤخر عينه ولم يستقبله بنظره.

[12] التكبر، وكذا البأو.

[13] اعتقد ضيعة ومالا: اقتناهما.

[17] نشط العقدة: عقدها، وأنشطها حلها، والعقل ككتب جمع عقال، وهو الحبل.

[18] هو مثل، وأصله في الإبل، يقال: لقحت الناقة إذا حملت، وألقحها الفحل، ثم ضرب ذلك مثلا للحرب إذا ابتدأت، والعون جمع عوان، وهي الثيب. يقال للحرب عوان إذا كان قد قوتل فيها مرة بعد مرة.

[19] تذكوا.

[20] الاستئصال.

[21] الثكل.

[22] الأبلاد: الآثار، جمع بلد (كالندوب جمع ندب).

[23] السحاب الذي تسفره الريح والزينة.

[24] العداوة والشحناء.

# 4. المفاخرات

## أشراف العرب بين يدي كسرى

قال كِسرى[1] للنعمان بن المنذر يوماً: هل في العرب قبيلة تَشْرُف على قبيلة؟ قال نعم، قال فبأيِّ شيء؟ قالَ: مَنْ كانتْ لهُ ثلاثة آباء متواليةٌ رؤساء، ثمَّ اتصلَ ذلكَ بكمالِ الرَّابع، فالبيت منْ قبيلته فيه، ويُنْسَب إليه، قال فاطلبِ ذلك، فطلبه فلم يصبه إلا في آل حُذيفة بن بدر، وآل حاجب بن زُرَارة، وآل ذي الجَدَّين، وآل الأشعث ابن قيس بن كِنْدة، فجمع هؤلاء الرهط ومن تبعهم من عشائرهم، وأقعد لهم الحكام والعدول، وقال: ليتكلم كلّ منكم بمآثر قومه وليَصْدُق، فكان حذيفة بن بدر الفَزاري أوّل متكلم، وكان ألسنَ القوم، فقال:

مقالة حذيفة بن بدر الفزاري

قد علمت العرب أن فينا الشرفَ الأَقدم، والأَعَزَّ الأَعظم، ومأْثَرَة[2] للصنيع الأكرم، فقال مَنْ حوله: وَلِمَ ذاك يا أخا فَزارة؟ فقال:

ألسنا الدعائم التي لا تُرام، والْعِزَّ الذي لا يُضَام، قيل صدقت.

## مقال الأشعث الكندي

قد علمت العرب أنا نقاتل عديدَها الأَكثر، وَزَحْفَها الأَكبر، وَإِنَّا لَغِيَاثُ الكُرُبَات، وَمَعْدِنُ المَكْرُمات، قالوا: وَلِمَ يا أخا كِنْدَةَ؟ قال: لأنا ورثنا ملك كندة، فاستظللنا بِأَفْيائِهِ[3] وَتَقَلَّدْنا مَنْكِبَهُ الأَعْظم، وَتَوَسَّطْنَا بُحْبُوحَه الأكرم.

## مقال بسطام الشيباني

قد علمت العرب أَنا بُنَاةُ بيتها الذي لا يزول، وَمَغْرِسُ عزها الذي لا يَحُول، قالوا وَلِمَ يا أخا شَيْبَان؟ قال: لأَنا أَدْرَكُهُمْ للثأْرِ، وأَضْرَبُهُمْ لِلْمَلِكِ الجَبَّار، وأَقوَمُهُمْ للحُكْمِ، وأَلَدُّهُم لِلْخَصْم.

## مقال قيس بن عاصم السعدي

لَقَدْ عَلِمَ هؤُلاءُ أَنَّا أَرفعُهُمْ في الْمَكْرُمَاتِ دَعائِمَ، وأثبتُهُمْ في النائبات مَقادِمَ، قالوا: وَلِمَ ذاك يا أخا بني سعد؟ قالَ: لأَنَّا أَدْرَكُهُمْ للثأرِ، وأَمْنَعُهُمْ للجارِ، وأنا لا نَنْكُل[5] إذا حَمَلْنا، ولا نُرَامُ إذا حَلَلْنَا.

## وفود العرب على كسرى

قدم النعمان بن المنذر على كسرى وعنده وفود الرّوم والهند والصين، فذكروا من ملوكهم وبلادهم، فافتخر النعمان بالعرب، وفضلهم على جميع الأمم، لا يستثنى فارس ولا غيرها، فقال كسرى ؟ وأخذته عزّة الملك ؟ يا نعمان، لقد فكرتُ في أمر العرب وغيرهم من الأمم، ونظرت في حالة من يَقْدَم عليَّ من وفود الأمم، فوجدت للروم حظاً في اجتماع ألفتها، وعظم سلطانها، وكثرة مدائنها، ووثيق بنيانها، وأن لها ديناً يبين حلالها وحرامها، ويردُّ سفيهها، ويقيم جاهلها، ورأيتُ الهندَ نحواً من ذلك في حكمتها وطبِّها، مع كثرة أنهار بلادها وثمارها، وعجيب صناعتها، وطيب أشجارها، ودقيق حسابها، وكثرة عددها، وكذلك الصين في اجتماعها، وكثرة صناعات أيديها، وفروسيتها وهمتها في آلة الحرب، وصناعة الحديد، وأن لها مُلكاً يجمعها، والترك والخَزَر على ما بهم من سوء الحال في المعاش، وقلة الرِّيف[6] والثمار والحصون، وما هو رأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس، لهم ملوك تضمّ قواصيهم، وتدبر أمرهم، ولم أر للعرب شيئاً من خصال الخير في أمرٍ دين ولا دنيا، ولا حزم ولا قوّة، ومع أنَّ مما يدلُّ على مهانتها وذلها، وصغر همتها مَحِلَّتَهم[7] التي همْ بها مع الوحوشِ النَّافرة، والطير الحائرة، يقتلون أولادهم من الفاقة، ويأكل بعضهم بعضاً من الحاجة، قد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها ومشاربها ولهوها ولذّاتها، فأفضل طعام ظفِر به ناعمهم لحوم الابل، التي يَعافها كثير من السباع، لثِقَلها، وسوء طعمها، وخوف دائها، وإن قَرَى أحدهم ضيفاً عدَّها مكرمة، وإن أطعِم أكلة عدَّها غنيمة، تنطق بذلك أشعارهم، وتفتخر بذلك رجالهم، ما خلا هذه التنُوخيَّة التي أسس جدّي اجتماعها، وشدّ مملكتها، ومنعها من عدوّها، فجرى لها ذلك إلى يومنا هذا، وإن لها مع ذلك آثاراً ولَبوساً[8]، وقرى وحصوناً، وأموراً تشبه بعض أمور الناس ؟ يعني أهل اليمن ؟ ثمّ لا أراكم تستكينون على ما بكم من الذِّلة والقِلّة والفاقة والبؤس حتى تفتخروا وتريدوا أن تنزلوا فوق مراتب الناس، قال النعمان: أصلح الله الملك. حُقَّ[9] لأمةٍ الملك منها أن يسمو فضلها، ويعظم خَطْبها، وتعلو درجتها، إلا أن عندي جواباً في كلّ ما نطق به الملك، في غير ردّ عليه، ولا تكذيب له، فإن أمّنني من غضبه نطقت به، قال كسرى: قل فأنت آمن.





# خطبة النعمان بن المنذر

قال النعمان:

أَما أُمَّتكَ أَيُّها الملكُ، فليستْ تُنَازَعُ في الفَضْلِ، لِمَوْضِعِهَا الذي هيَ بِهِ: منْ عُقُولِهَا وأَحلامِهَا، وَبَسْطَةِ مَحَلِّهَا، وَبُحْبُوحَةِ عزِّها، وما أكرَمَها الله بِهِ منْ ولايةِ آبائكَ وولايتكَ. وأَمَّا الأممُ التي ذكرتَ، فأَيُّ أُمة تَقْرِنُها بالعرب إلا فَضَلَتْها. قال كسرى بماذا؟ قال النعمان: بِعِزِّها، وَمَنَعَتِها، وحسنِ وجوهِهَا، وبأْسِهَا، وَسَخَائِهَا، وحكمةِ أَلسنَتِهَا، وشدَّةِ عُقُولِهَا، وأَنفتِهَا، وَوَفَائِهَا.

فأَمَّا عزُّها وَمَنَعتها، فإنَّها لَمْ تزلْ مُجاورةً لآبائكِ الذينَ دوَّخوا البلادَ، ووطَّدُوا الملكَ، وقادوا الجندَ، لم يَطْمَعْ فيهمْ طامعٌ، ولم يَنَلْهُمْ نائلٌ، حُصُونُهم ظُهُوْرُ خَيْلِهِمْ، وَمِهَادُهَم الأرضُ، وسُقُوفُهم السَّماءُ، وجُنَّتُهُمُ السيوفُ، وَعُدَّتُهُمُ الصبرُ، إذ غيرُها مِنَ الأُممِ إنَّما عزُّها من الحجارةِ والطينِ وجزائرِ البُحُورِ.

وأما حُسنُ وُجوهِهَا وأَلوانِها، فقدْ يُعْرَفُ فضلُهم في ذلكَ عَلَى غَيْرِهِمْ: من الْهِنْدِ الْمُنْحَرِفَة، والصِّيْنِ المُنْحَفَةِ، والتُّرْكِ الْمُشوَّهة، والرُّوْمِ الْمقَشَّرَة.

وأَمَّا أنسابُها وأحْسابُها، فليستْ أُمةٌ من الأُممِ إلا وقدْ جهلتْ آباءَها وَأُصولَهَا وَكثيراً من أوَّلها، حتى إنَّ أَحدَهُم ليُسْأَلُ عمَّنْ وراءَ أبيه دُنْياً[10]، فلا ينسُبهُ ولا يعرفُهُ، وليسَ أحدٌ من العربِ إلا يسمِّيْ آباءَهُ أَباً فأَباً، حَاطُوْا بِذَلِكَ أَحْسابَهُمْ، وَحَفِظُوا بِهِ أَنْسابهُمْ، فلا يَدْخُلُ رَجُلٌ في غيْرِ قَوْمِهِ، ولا يَنْتَسِبُ إلى غَيْرِ نَسَبِهِ، ولا يُدْعىْ إلى غيْرِ أَبِيهِ.

وَأَمَّاْ سَخَاؤهاْ، فإنَّ أَدْنَاْهُمْ رَجُلاً، الذي تكونُ عندهُ الْبَكْرَةُ والنَّابُ[11]، عليها بَلاغُهُ[12] في حُمُولِهِ[13] وَشِبَعِهِ وَرِيِّهِ، فَيَطرقُهُ الطَّارقُ، الذي يكتفي بالفِلذة[14]، وَيَجْتَزِيْ بالشَّربة، فَيَعْقِرُها له، وَيَرْضى أَنْ يَخْرُجَ عَنْ دُنياهُ كلِّها فِيْمَاْ يُكْسِبُهُ حُسْنَ الأُحْدُوثةِ وَطَيِّبَ الذِّكْر.

وأَمَّا حكمةُ أَلسِنَتِهِمْ، فإنَّ اللهَ تَعَالى أعطاهُمْ فِيْ أَشْعَارِهِمْ وَرَوْنَقِ كَلامِهِمْ، وَحُسْنِهِ وَوَزْنِهِ وَقَوَاْفِيْهِ، مَعَ مَعْرِفَتِهِمْ الأشياءَ، وضربِهِمْ للأَمثالِ، وإبلاغِهِمْ في الصفاتِ، ما ليسَ لشيءٍ من أَلْسِنَةِ الأَجْنَاسِ ثمَّ خَيلُهُمْ أَفْضَلُ الْخَيْلِ، ونساؤهم أعفُّ النِّساءِ، وَلِباسُهُمْ أفضلُ اللباسِ، وَمَعَادِنُهُمُ الذَّهُب والفضَّةُ، وَحِجَاْرَةِ جبالِهِم الجَزْع[15]، وَمَطَاْيَاهُم التي لا يبلغُ عَلَىْ مِثْلها سَفَرٌ، ولا يقطعُ بِمِثْلِهَا بَلَدُ قَفْر.

وأَمَّا دينُها وشريعتُها، فإنَّهم مُتمسِّكُونَ بِهِ، حتَّى يبلغَ أحدُهُم مِنْ نُسْكهِ بدِينِهِ أَنَّ لَهُمْ أَشْهُراً حُرماً، وبلداً مُحَرَّماً، وبيتاً مَحْجوباً، يَنْسُكُونَ فيه مَناسِكَهُمْ، وَيَذْبَحُوْنَ فِيْهِ ذَبَاْئِحَهُمْ، فَيَلْقَى الرجلُ قَاتلَ أَبيْهِ أَوْ أَخِيْهِ، وَهْوَ قَادرٌ على أَخْذِ ثَاْرِهِ. وإدراك رَغْمِهِ[16] مِنْهُ، فَيَحْجُزهُ كرمُهُ، وَيَمْنَعُهُ دينُهُ عن تناولِهِ بأَذَىْ.

وأَمَّا وَفاؤُها، فإنَّ أَحَدَهُم يَلْحَظُ اللحظةَ، وَيُومِئُ الإيماءَةَ، فهي وَلْثٌ[17] وعقدةٌ، لا يَحُلُّها إلا خُروجُ نَفْسِهِ، وإنَّ أحدَهُم يرفعُ عُوداً من الأرض فَيَكُونُ رهْناً بدَيْنِهِ، فلا يَغْلَقُ[18] رَهْنُهُ، ولا تُخْفَرُ[19] ذمَّتُهُ، وإنَّ أَحَدَهُمْ ليبلغَهُ أَنَّ رَجلاً استجارَ بِهِ وَعَسىْ أَنَّ يَكُونَ نائياً عَنْ دَاْرِهِ، فَيُصَاْبَ، فلا يَرْضَى حَتَّىْ يُفْنِيَ تلكَ القَبِيْلَةِ التي أصابَتْهُ، أَوْ تَفْنَى قبيلتهُ، لما أُخْفِرَ مِنْ جُوَاْرِهِ، وإنه ليلجأ إليهم المجرم المُحْدِثُ، مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ ولا قَرَاْبَةٍ، فَتَكُوْنُ أنفُسُهُمْ دُوْنَ نَفْسِهِ، وَأَمْوَالُهُمْ دُوْنَ مَاْلِهِ.

وأما قولك أَيُّها الملكُ يَئِدُون أولادَهُم، فإنَّما يفعلُهُ مَنْ يفعلُهُ مِنْهُمْ بالإناثِ أَنَفَةً مِنَ العارِ، وَغَيْرَةً من الأَزْوَاْجِ.

وأما قَولُكَ إنَّ أَفْضَلَ طَعَاْمِهِمْ لُحُومُ الإبلِ – عَلى ما وَصَفْتَ مِنْهَا – فَما تَرَكُوا ما دُوْنَهَا إلا احْتِقَاْراً لها، فَعَمَدُوا إلى أَجلِّهَا وأَفْضَلَهَا، فَكَاْنَتْ مَراكِبُهُمْ وَطَعَاْمَهُمْ، مَعَ أنها أكثر البهائم شحوما، وأَطْيَبَهَا لُحُوْمَاً، وأَرَقُّها أَلْبَاْنَاً، وأَقلُّهَا غَائلةً[20]، وأحلاها مَضْغَةً، وإنه لا شيء من اللُّحْمان يُعَالَجُ ما يُعَالَجُ بِهِ لَحْمُهَا إلا إستبانَ فَضْلُها عَلَيْهِ.

وَأَمَّاْ تَحَاْرُبُهُمْ وأَكْلُ بَعْضِهِمْ بَعْضَاً، وَتَرْكُهُمُ الانْقِيَادَ لِرَجُلِ يَسُوْسُهُمْ وَيَجْمَعُهُمْ، فَإِنَّمَاْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مَنْ يَفْعَلُهُ مِنَ الأُممِ إذا أَنِسَتْ منْ نَفْسِهَاْ ضَعْفاً، وتخوَّفَتَ نُهُوضَ عدوِّها إليها بالزَّحفِ، وإنَّهُ إنَّما يكونُ في الْمَمْلَكَةِ العَظِيْمَةِ أَهْلُ بَيْتٍ واحدٍ، يُعْرَفُ فَضْلُهُمْ على سَائِرِ غيْرِهِمْ، فَيُلْقُونَ إليهِمْ أُمُوْرَهُمْ، وَيَنْقَاْدُوْنَ لَهُمْ بِأَزْمَتِهِمْ، وأَمَّا العربُ فإنَّ ذلكَ كَثيْرٌ فِيْهِمْ، حَتَّىْ لَقَدْ حَاْوَلوا أَنْ يَكُوْنُوا مُلوكاً أَجْمَعين، مَعَ أنفَتِهِمْ من أداءِ الخراجِ والْوَطْث[21] بِالْعَسْفِ.

وأَمَّا اليمنُ التي وَصَفَهَا الْمَلِكُ، فإنَّما أتى جَدَّ الْمَلِكِ إليْها الذي[22] أتاهُ، عِنْدَ غلبة الْحَبش لهُ، عَلى ملك متَّسِقٍ، وأمْرٍ مُجْتَمِعٍ، فأتاهُ مَسْلوباً طَرِيْداً مُسْتَصْرِخاً، وَلولا ما وُتِرَ به منْ يَلِيْهِ من العَرَبِ، لَمَالَ إلى مَجَالٍ، وَلَوَجَدَ مَنْ يُجِيْدُ الطِّعَاْنَ، وَيَغْضَبُ للأَحرارِ مِنْ غَلَبَةِ الْعَبِيْدِ الأَشْرَاْر».

فَعجب كسرى لما أجابهُ النعمان به، وقال: إنك لأهل لموضعك من الرياسة في أهل إقليمك، ثم كساه من كِسْوَتِهِ، وسَرَّحَهُ إلى موضعه من الحيرة.

فلما قدم النعمان الحِيْرة، وَفي نفسه ما فيها مما سمع من كسرِي، من تنقص العرب، وتهجين[23] أمرهم، بعث إلى أَكْثَمَ بْنِ صَيْفِيٍّ، وحاجب بن زُرَارَةَ التميميين، وإلى الحرث بن عُبَاد، وقيس بن مسعود البكريين، وإلى خالد بن جعفر، وعلقمة بن عُلاثَة، وعامر بن الطُّفَيْلِ العامِرِيِّين، وإلى عمرو بن الشَّرِيدِ السُّلَمي، وعمرو بن معد يكرب الزُّبيدي، والحارث بن ظالم المُرِّي، فلما قدموا عليه في الخَوَرنق، قال لهم:

قَدْ عَرِفْتُمْ هَذِهِ الأعاجم، وَقُرْبَ جِوَارِ العربِ مِنْها، وَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ كِسْرى مَقَالاتٍ، تخوَّفتُ أَنْ يكونَ لَهَا غَوْرٌ، أَوْ يكونُ إنَّمَا أظهَرَهَا لأَمْرٍ أَرَادَ أَنْ يتَّخِذَ بِهِ العَرَبَ خَوَلا، كَبَعْضِ طَمَاطِمَتِهِ[24]، وَفِيْ تَأْدِيَتِهِمْ الْخَرَاْجَ إِلِيْهِ[25]، كَمَاْ يَفْعَلُ بِمُلُوْكِ الأُمَم الذينَ حَوْلَهُ، فاقْتَصَّ عَلِيْهِمْ مَقَالاتِ كِسْرى، وَما ردَّ عَلَيْهِ، فَقَالوا: أَيُّها الْمَلِكُ، وفَّقَكَ اللهُ! مَا أَحْسَنَ مَا رَدَدْتَ! وَأَبْلَغَ مَا حَجَجْتَهُ بِهِ! فَمرْنَاْ بِأَمْرِكَ، وادْعِنَا إِلَىْ مَاْ شِئْتَ. قَالَ: إنَّما أنا رَجُلٌ مِنْكُم، وإنَّما مَلكتُ وَعَزَزتُ بِمَكانِكُمْ، وما يتخوَّفُ من ناحِيَتِكُمْ، وَليسَ شيءٌ أحبَّ إليَّ مما سَدَّد اللهُ بِهِ أَمْرَكُمْ، وأصلحَ بِهِ شَأنَكُمْ، وأَدَامَ بِهِ عِزَّكُمْ، والرأيُ أَنْ تَسِيْرُوا بِجَماعَتِكُمْ أَيُّها الرَّهْطُ، وَتَنْطَلِقُوا إِلَىْ كِسْرى، فَإِذَاْ دَخَلْتُمْ نَطَقَ كلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَاْ حَضَرَهُ، لِيَعْلَمَ أَنَّ العَرَبَ عَلَى غَيْرِ مَا ظَنَّ، أَوْ حَدَّثتهُ نَفْسُهُ، ولا يَنطقْ رَجلٌ مِنْكُمْ بِما يُغضبهُ، فإنَّهُ مَلِكٌ عَظِيْمُ السُّلطانِ، كَثِيْرُ الأَعْوَاْنِ، مُتْرَفٌ، مُعْجَبٌ بِنَفْسِهِ، ولا تنَخْزِلُوا[26] لهُ انْخِزَاْلَ الْخَاْضِعِ الذَّلِيْلِ، وَلْيَكُنْ أَمْرٌ بَيْنَ ذَلِكَ، تَظْهرُ بِهِ وَثَاقَةُ حُلُوْمَكُمْ، وفَضْلُ مَنْزلَتِكُمْ، وَعَظِيْمُ أَخْطَارِكُمْ، وَلِيكُنْ أَوَّلَ مَنْ يَبْدأُ مِنْكُمْ بِالْكَلامِ أَكْثَمُ بنُ صَيْفِي، ثمَّ تَتَابَعُوا على الأَمْرِ مِنْ مَنَازِلِكُمْ التي وَضَعَتْكُمْ بِهَاْ، فإنَّماْ دَعَاْنِيْ إلى التَّقْدِمَةِ إِلِيْكُمْ، عِلْمِيْ بِمْيلِ كلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ إِلَىْ التقدُّم قبلَ صَاْحِبِهِ، فلا يَكُوْنَنَّ ذَلكَ مِنْكُمْ، فَيَجِدَ في آدَابِكُمْ مَطْعَناً، فإنَّه مَلِكٌ مُتْرَفٌ، وَقَاْدِرٌ مُسَلَّطٌ، ثمَّ دَعَاْ لَهُمْ فِيْ خَزَاْئِنِهِ مِنْ طَرَاْئِفِ حُللِ الْمُلُوْك، كلَّ رَجلٍ منهم حُلةً وعَمَّمَهُ عَمَاْمَةً، وَخَتَّمَهُ بِيَاْقُوْتَةٍ، وَأَمَرَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ بِنَجِيْبَةٍ مَهْرِيةٍ[27] وَفَرَسٍ نَجِيْبَةٍ، وَكَتَبَ مَعَهُمْ كتاباً:

«أما بعدُ: فإنَّ الْمَلِكَ ألقى إِلَيَّ منْ أمرِ العَرَبِ ما قدْ عَلمَ، وأجبتهُ بِمَا قدْ فَهِمَ، مِمَا أحببتُ أَنْ يكونَ مِنْهُ على عِلْمٍ، ولا يَتَلَجْلَجُ في نَفْسِهِ أنِّ أَمَّةً مِنَ الأُمَمِ التي احتجزتْ دُوْنَهُ بِمَمْلَكَتِهَا، وَحَمَتْ ما يَلِيْهَا بِفَضْلِ قُوَّتِهَا، تَبْلغهَا فَيْ شيءٍ مِنَ الأُمُوْرِ، التي يَتَعزَّزُ بَهَا ذَوُو الْحَزْمِ وَالقُوَّةِ والتَّدْبيْرِ والْمَكِيْدَةِ، وَقَدْ أَوْفَدْتُ أَيُّها الْمَلِكُ رَهْطَاً مِنَ الْعَرَبِ لَهُمْ فَضْلٌ في أَحْسَابِهِمْ وَأَنْسَابِهِمْ وَعُقُوْلِهم وَآدَاْبِهِمْ، فَلْيَسْمَعِ الْمَلِكُ، وَليُغْمِضْ عن جَفَاءٍ إِنْ ظَهَرَ مِنْ مَنْطِقِهِمْ، وَليُكْرِمْنِيْ بإِكْرَاْمِهِمْ، وَتَعْجِيْلِ سَرَاْحِهِمْ، وَقَدْ نَسَبْتُهُمْ فِيْ أَسْفَلِ كِتَاْبَيَ هَذَاْ إِلَىْ عَشَاْئِرِهِمْ».

فخرج القوم في أُهْبَتهم حتى وقفوا بباب كسرى بالمدائن، فدفعوا إليه كتاب النعمان فقرأه، وأمر بإنزالهم إلى أن يجلس لهم مجلساً يسمع منهم، فلما أن كان بعد ذلك بأيام، أمر مَرازبتهُ[28] وَوجوه أهل مملكتِهِ، فحضروا وجلسوا على كراسي، عن يمينِهِ وشماله، ثم دعا بهم على الوِلاء[29] والمراتب التي وصفهم النعمان بها في كتابه، وأقام الترجمان[30] ليؤدِّي إليه كلامهم، ثم أذن لهم في الكلام.

# خطبة أكثم بن صيفي

«إنَّ أفْضَلَ الأشياءِ أَعَاْلِيَهَا، وأَعَلْىْ الرِّجَاْلِ مُلُوْكِهَا، وَأَفْضَلُ الْمُلُوْكِ أعَمَّها نَفْعاً، وَخَيْرُ الأَزْمِنَةِ أَخْصَبهَا، وَأَفْضلُ الْخُطَبَاْءِ أَصْدَقُهَا، الصَّدْقُ مَنْجَاْةٌ، والْكَذِبُ مَهْوَاة، والشَّرُّ لَجَاْجَة[31]، والْحَزْمُ مَرْكَبٌ صَعْبٌ، وَالْعَجْزُ مَرْكَبٌ وَطئ. آفَةُ الرَّأْيِ الْهَوَىْ، وَالْعَجْزُ مِفْتَاْحُ الفَقْرُ، وَخَيْرُ الأُمُوْرِ الصَّبْرُ، حُسْنُ الظَّنِّ وَرْطَة، وَسُوْء الظَّنِّ عِصْمَة، إصلاحُ فَسَادِ الرَّعِيَّةِ خَيْرٌ مِنْ إِصْلاح فَسَاْدِ الرَّاْعِيْ، مَنْ فَسَدَتْ بَطَانَتُهُ كَانَ كالْغَاْصِّ بِالْمَاْءِ، شرُّ البلادِ بلادٌ لاْ أَميْرَ بِهَاْ، شرُّ الْمُلُوْكِ من خَافَهُ البَرِيُء، الْمَرْءُ يَعْجَزُ[32] لا الْمَحَالة[33]، أفضلُ الأولادِ البَرَرَة، خَيْرُ الأَعْوَاْنِ مَنْ لَمْ يُراءِ بالنَّصِيْحَةِ، أحقُّ الْجُنُوْدِ بالنَّصْرِ مَنْ حَسُنَتْ سَرِيْرَتُهُ، يَكْفِيْكَ مِنَ الزَّادِ ما بَلَّغَكَ المحَلَّ، حَسْبُكَ مِنْ شَرٍّ سماعُهُ، الصَّمْتُ حُكْمٌ[34] وقَليلٌ فاعله، البلاغة الإيجاز، مَنْ شَدَّدَ نَفَّرَ، ومَنْ تراخَى تَأَلَّفَ».

فتعجب كسرى من أكثم، ثم قال: وَيْحَكَ[35] يا أكثم ما أَحْكَمَكَ وَأَوْثَقَ كلامك! لولا وَضْعُكَ كلامك في غير موضعهِ. قال أكثم: الصدق ينبئ عنك لا الوعيد. قال كسرى: لو لم يكن للعرب غيرك لكفى.

قال أكثم: رُبَّ قول أَنْفَذُ مِنْ صَوْلٍ.

## خطبة حاجب بن زرارة

«وَرَى[36] زَنْدُكَ، وَعلَتْ يَدُكَ، وَهِيبَ سُلْطَانُكَ، إِنَّ العَرَبَ أُمَّةٌ قَدْ غَلُظَتْ أَكْبَادُهَا، وَاسْتَحْصَدَتْ[37] مَرَّتها، وَمُنِعَتْ دِرَّتُها[38]، وَهْيَ لَكَ وَامِقَةٌ ما تَأَلَّفتَهَا، مُسْتَرْسِلَةٌ ما لايَنْتَهَا، سَامِعَةٌ ما سَامَحْتَهَا، وَهْيَ العَلْقَمُ مرارَةً، والصابُ[39]، غضاضة[40]، والعَسَلُ حلاوَةً، والماء الزُّلالُ[41] سلاسةً[42]، نَحْنُ وُفُودُها إِليكَ، وألسنتُهَا لَدَيْكَ، ذِمَّتُنا مَحْفُوْظَةٌ، وَأَحْسَابُنَا مَمْنُوْعَةٌ، وَعَشَائِرُنَا فِيْنَا سَامِعَةٌ مُطِيْعَةٌ، إِنْ نَؤُبْ لَكَ حَامِدِيْنَ خَيْراً ذَلكَ بِذلكَ عُمُوْم مَحْمَدَتنا، وَإِنْ نَذُمَّ لم نُخَصَّ بالذَّمِّ دونها».

قال كسرى: يا حاجب، ما أَشبه حجر التِّلال بألوان صخرها، قال حاجب:

بلْ زَئيْرُ الأَسْدِ بِصَوْلَتِهَا، قال كسرى: وذلك.

## خطبة الحارث بن عباد

«دامتْ لَكَ الْمَمْلَكَةُ باسْتِكَمَالِ جَزِيْلِ حَظِّهَا، وَعلوِّ سنائِها، منْ طالَ رَشاؤه[43]، كَثُرَ مَتْحُهُ[44]، وَمَنْ ذَهَبَ مالُهُ، قلَّ مَنْحُه. تناقلُ الأقاويلِ يُعَرِّفُ اللُّب، وهذا مَقامُ سَيُوجِف[45] بما ينطق به الرَّكْبُ، وتعرفُ بِهِ كُنْهَ حالنا الْعَجَمُ والعَرَبُ، وَنَحْنُ جِيْرانُكَ الأَدنون، وأعوانك المعينون، خيولنا جَمَّة، وجيوشنا فخمة، إن استنجدتنا فغير رُبُض[46]، وإن استطرقتنا[47] فغير جُهُض[48]، وإن طلبتنا فغير غُمُض[49]، لا ننثني لِلذعْر، ولا نَتَنَكَّرُ لِدَهْرٍ، رِمَاحُنا طِوَالٌ، وأعمارُنا قِصَاْر».

قال كسرى: أنفسٌ عَزِيْزَةٌ وأُمَّةٌ ضَعِيْفَة، قال الحارث: أيها الملك وَأَنَّى يكون لضعيف عِزَّة أو لصغير مِرَّة! قال كسرى: لو قَصُرَ عمرُكَ، لم تَسْتَوْلِ عَلى لسانك نَفْسُكَ. قال الحارث: أَيها الملك إِنَّ الفارسَ إذا حَمَلَ نفسهُ عَلى الكتيبة مُغَرِّراً بنفسه عَلى الْمَوْتِ، فَهِيَ مَنِيَّة استقبلَهَا، وجِنانٌ استدْبَرَهَا، والْعَربُ تَعْلَمُ أَنِيْ أَبْعَثُ الْحَرْبَ قُدُماً[50]، وَأَحْبِسُها وهي تَصَرَّفُ بها، حتى اذا جاشتْ نارُها، وسَعَرَتْ لظاها، وكشفتْ عنْ ساقِها، جَعَلتُ مَقادَها رُمحي، وبرقَها سيفي، ورَعْدَها زَئيري، ولم أُقَصِّرْ عَنْ خوص خَضْخاضِها[51]، حتى أَنغمسَ في غَمراتِ لُجَجِها، وأكونَ فُلْكاً لفرساني إلى بُحْبُوحَةِ كبشِهَا[52]، فأستمطرُها دماً، وأَتْرُكُ حُماتَها جَزَرَ[53] السَّباعِ وكلَّ نَسْر قَشْعَم[54].

ثم قال كسرى لمن حضره من العرب: أَكَذَلِكَ هُوَ؟ قَاْلُوا: فِعَاْلُهُ أنطقُ مِنْ لِسَاْنِهِ.

قال كسرى: ما رأيت كاليوم وَفْداً أحشد، ولا شهوداً أوفد.

## خطبة عمرو بن الشريد

«أيها المَلِكُ، نَعِمَ بالكَ، ودامَ في السرورِ حالُك، إنَّ عاقبة الكلام مُتَدَبَّرَة، وَأَشكال الأُمور مُعْتَبَرَة، وفي كثير ثِقْلة، وفي قليل بُلْغَة، وفي الملوك سَوْرة[55] العزِّ، وهذا مَنْطِقٌ له ما بعْدَهُ، شَرُفَ فيه مَنْ شَرُفَ، وخَمَلَ فيهِ مَنْ خَمَلَ، لم نَأْتِ لِضَيْمِكَ، ولم نَفِد لِسخطِكَ، ولم نتعرَّض لِرِفْدِك[56] إنَّ في أموالِنا مُنْتَقَداً[57]، وعلى عزِّنا مُعْتَمَداً، إنْ أَوْرَيْنا[58] ناراً أَثقبنا، وإنْ أَودَ[59] دَهرٌ بنا اعْتَدْلنا، إلا أَنَّا مَعَ هَذَاْ لِجِوَاْرِكَ حَافِظُون، وَلِمَنْ رَامَكَ كافِحُونَ، حتى يُحْمَدَ الصَّدَر[60] ويُسْتَطابَ الْخبَرُ».

قال كسرى: ما يقوم قصدُ مَنْطِقِك بإفراطك، ولا مَدْحُكَ بذَمِّكَ، قال عمرو: كَفَى بِقَلِيْلِ قَصْدِي هَادياً، وبأَيسرِ إفرَاطِيْ مُخْبِراً، وَلَمْ يُلَمْ مَنْ غَرَبَتْ نفسهُ عمَّا يَعْلَمْ، وَرَضَىْ مِنَ الْقَصْدِ بِمَاْ بَلَغَ. قالَ كِسْرَىْ: مَا كلُّ مَا يُعرفُ الْمرْءُ ينطق به. إجلس.

## خطبة خالد بن جعفر الكلابي

«أَحضر الله الملك إِسعاداً، وأرشَدَهُ إرشاداً، إنَّ لكلِّ مَنْطِق فُرْصة، وَلِكُلِّ حَاْجَةٍ غَصَّة، وَعِيُّ الْمَنْطِقِ أَشدُّ مِنْ عِيِّ السُّكوت، وَعِثارُ القَوْلِ أَنْكَأُ[61] مِنْ عِثارِ الْوَعْثِ[62]. وما فُرْصَةُ الْمَنْطِقِ عِنْدَنَاْ إِلاّ بِمَاْ نَهْوَى، وَغُصَّةُ الْمَنْطِقِ بِمَا لا نَهْوَى غَيْرُ مستساغة[63]، وَتَرْكِي ما أعلمُ مِنْ نفسي، ويُعْلَمُ مِنْ سَمْعِي أنني له مُطِيق، أَحبُّ إِلَيَّ مِنْ تكلُّفي ما أتخوَّفُ ويُتخوَّفُ مني، وقدْ أَوْفَدَنا إِليكَ مَلِكُنا النُّعْمَانُ، وَهْوَ لكَ مِنْ خيْرِ الأَعْوَاْنِ، وَنِعْمَ حامِلُ الْمَعْرُوفِ والإِحْسَاْنِ، أَنْفُسُنا بالطَّاعة لكَ باخعة[64]، ورقابُنا بالنَّصِيْحةِ خَاضعة، وأيْدِيْنا لكَ بالوفاء رَهِيْنَة».

قالَ له كسرى: نطقت بعقل، وسَمَوْتَ بفضل، وعلوت بِنُبْل.

## خطبة علقمة بن علاثة العامري

«نَهَجَتْ[65] لكَ سُبلُ الرَّشادِ، وخَضَعَتْ لكَ رِقَابُ الْعِبَاْدِ، إنَّ للأَقاويْلِ مَنَاْهِج، وللآراء مَوَالج[66] وللعويص مخارج، وَخَيْرُ القولِ أَصدقُهُ، وأفضلُ الطَّلبِ أَنْجحهُ، إنَّا وإنْ كانتْ الْمَحبَّةُ أَحْضَرتْنَاْ، وَالوَفَادَةُ قرَّبتْنَا، فليس مَنْ حَضَرَكَ منَّا بأَفْضَلَ مِمَّنْ عَزَبَ عَنْكَ، بل لو قِسْتَ كلَّ رجل منهم، وعَلِمْتَ مِنْهُمْ ما عَلِمْنَا، لَوَجَدْتَ لَهُ فِيْ آبَائه دُنياً، أنداداً وأكفَّاء، كلُّهمْ إِلَىْ الفَضْلِ مَنْسُوْبٌ، وبالشَّرَفِ والسُّؤْدُد[67] مَوْصُوف، وبالرأْيِ الفَاضِلِ والأدَبِ النَّافِذِ[68] مَعْرُوف، يَحْمِي حِماه، ويُرْوِي نداماه[69]، ويَذُودُ أعداه، لا تَخْمُدُ[70] نارُهُ، ولا يَحْترزُ مِنْهُ جارُه، أَيُّها الْمَلِكُ: مَنْ يَبْلُ العَرَبَ يَعْرِفُ فضْلهُم، فاصْطَنِعِ[71] العَرَبَ، فإنَّها الْجِبَاْلُ الرَّوَاسِيْ عِزَّاً، والْبُحُوْرُ الزَّوَاْخِرُ طُمِيًّا[72]، والنَّجومُ الزوَاهرُ شَرَفَاً، وَالْحَصَىْ عَدَداً، فإِنْ تَعْرِفَ لَهُمْ فَضْلَهم يُعِزُّوك، وإنْ تَسْتَصْرِخْهُمُ[73] لا يَخْذِلُوْك».

قال كسرى: وخشى أن يأتي منهُ كلام يحمله على السخط عليه؟ حَسْبُكِ أبلغت وأحسنت.

## خطبة قيس بن مسعود الشيباني

«أَطابَ اللهُ بِكَ الْمَراشد! وجَنَّبكَ الْمَصَائب! وَوَقاكَ مَكْرُوْهَ الشَّصائِب[74]! ما أَحَقَّنا؟ إذْ أَتيناكَ؟ بإِسْمَاْعِكَ ما لا يُحْنِقُ صدْرِكَ، ولا يزْرعُ لنا حِقْداً في قَلْبِكَ! لَمْ نَقْدَمْ أَيُّها الْمَلِكِ لِمُساماةٍ، وَلَمْ نَنْتَسِبْ لِمُعَادَاة، وَلَكِن لِتَعْلَمَ أَنْتَ وَرَعيَّتُكَ وَمَنْ حَضَرَكَ مِنْ وُفُوْدِ الأُمَمِ، أنَّا في المَنْطِقِ غَيْرُ مُحْجِمِينَ، وفي النَّاسِ غَيْرُ مُقَصِّرِيْنَ، إنَّ جُوْرِيْنَا فَغيْرُ مَسْبُوْقِيْنَ، وإنْ سُوْمِيْنَا فَغَيْرُ مَغْلُوْبِيْنَ».

قال كسرى: غير أنكم إذا عاهدتم غير وافين (وهو يُعَرِّضُ به في تركه الوفاء بضمانه السّوادَ[75] قال قيس: أَيَّها الْمَلِكُ ما كُنتُ في ذَلِكَ إلا كَوَافٍ غُدِر بِهِ، أَوْ كَخَافِرٍ أُخْفِرَ بذمتهِ. قال كسرى: ما يكون لضعيف ضمان، ولا لذليل خَفَارة، قال قيس: أيها الملك: ما أَنا فيما أُخْفِرَ من ذمتي أَحَقُّ بإلزامي العارَ مِنْكَ فِيْمَاْ قتل مِنْ رَعيتك، وانْتُهِكَ من حرمتك، قال كسرى: ذلك لأن من ائتمن الخانة[76]، واستنجدَ الأَثمَة، ناله من الخطإِ ما نالني، وليس كلّ الناس سواء، كيف رأَيت حاجب بن زرارة، لِمَ يُحْكِمُ قواه، فَيُبْرِم، ويَعْهَدُ فَيُوفِي، ويَعِدُ فَيُنْجِز، قالَ وما أَحقَّهُ بذلك، وما رأيته إلاَّ لي، قال كسرى: القوم بُزُلٌ[77] فأَفضلَها أَشدُّها.

## خطبة عامر بن الطفيل العامري

«كثر فنون المنطق، ولَبْسُ القول أعمى من حِنْدِس[78] الظلماء، وإنما الفخر في الفعال، والعجز في النجدة، والسُّودَدُ مُطاوَعة القُدْرَة[79]، وما أَعْلَمُكَ بِقَدَرِنَا، وأَبْصَرك بِفَضْلِنا، وبالْحَرَى[80] إنْ أَدللتَ[81] الأَيَّام، وثَابتَ الأحلام أنْ تحْدِثَ لنا أُموراً لَها أَعلام[82]. وقال كسرى: وما تلك الأَعلام، قال مُجْتَمَع[83]. الأَحْيَاءِ من ربيعةَ وَمُضر، على أمْر يذكر قال كسرى: وما الأَمر الذي يُذكر؟ قال: مَالِيَ عِلْمٌ بِأَكْثَرِ مَمَّا خبَّرنِيْ بِهِ مُخْبِرٌ، قال كسرى: متى تكاهنت يا بن الطفيل؟ قال: لستُ بِكَاْهِنٍ، وَلَكِنِّيْ بالرُّمْحِ طَاْعِنٌ، قال كسرى: فإن أتاك آت من جهة عينك الْعَوْراء ما أنت صانع؟ قال: ما هَيْبَتي في قَفاي بدون هيبتي في وَجهي، وما أذهبَ عيني عَبَثٌ[84]، ولكن مطاوَعة الْعَبَث.





## خطبة عمرو بن معد يكرب الزبيدي

«إنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرَيْهِ: قَلْبِهِ ولِسانِهِ، فَبَلاغ الْمَنْطِقِ الصَّوْاب، ومِلاكُ النُّجعة[85] الارْتِيَاد، وعَفْوُ الرأْيِ خَيْرٌ من استكراه الفِكْرَة، وتوقيف الخِبْرَة خيرٌ من اعتساف الْحَيْرَة، فاجْتَبِذْ[86] طاعتنا بلفْظِكَ، واكتظم بادرتَنا بحلمكَ، وألِنْ لنا كَنَفَكَ يَسْلَسْ لك قِيادنا، فإنا أناسٌ لم يُوَقَّش[87] صَفاتَنا قَراعُ مَناقير[88] من أرادَ لنا قَضْما[89]، ولكنْ مَنَعْنا حِمانا من كلِّ مَن رام لنا هَضْماً».

(العقد الفريد 1: 101)

## خطبة الحارث بن ظالم المري

ثمَّ قام الحرث بن ظالم المري، فقال:

«إنَّ مِنْ آفَةِ الْمَنْطِقِ الْكَذِبِ، وَمِنْ لُؤْمِ الأَخْلاقِ المَلَق، وَمِنْ خَطَلِ الرأيِ خِفَّةُ الْملك المُسَلَّطِ، فإنْ أعلمناكَ أنَّ مُواجَهَتَنا لكَ عن الائتلاف، وإنْقيادَنا لكَ عَنْ تَصاف، فما أنْتَ لِقَبُوْلِ ذلكَ منّا بِخَلِيْقٍ، ولا للاعْتِمادِ عَلَيْه بِحَقِيْقٍ، وَلَكِنْ الوَفاء بالعُهُوْدِ، وإحْكَامِ وَلْثِ العُقُود، والأمْرُ بيننا وَبينكَ مُعْتَدل، ما لَمْ يَأْتِ من قِبلكَ مَيْلٌ أوْ زَلَل».

قال كسرى: من أنت؟ قال الحرث بن ظالم، قال إن في أسماءِ آبائكَ لدليلاً على قلة وفائك، وأن تكون أولى بالغدر، وأقرب من الوزْر. قال الحارث: إن في الحقِّ مَغْضَبة. والسَّرْوُ التَّغَافُل[90]، ولنْ يَسْتوجبَ أَحَدٌ الحلمَ إلا مَعَ القُدْرَة، فَلْتُشْبِهْ أَنْعَالكَ مَجْلِسَكَ، قال كسرى: هذا فتى القوم.

ثم قال كسرى: قد فهمت ما نطقت به خطباؤكم، وتفنّن فيه متكلموكم، ولولا أني أعلم أن الأدب لم يُثَقِّف أَوَدَكم، ولم يُحكم أمركم، وأنه ليس لكم ملك يجمعكم، فتنطقون عنده منطق الرَّعية الخاضعة الباخعة، فنطقتم بما استولى على ألسنتكم، وغلب على طباعكم، لم أُجِزْ لكم كثيراً مما تكلمتم به، وإني لأكره أن أُجَبِّه وفودي، أو أُحْنِق صدورهم، والذي أحب من إصلاح مُدَبِّرِكُمْ، وتألّف شواذكم، والإعذار إلى الله فيما بيني وبينكم، وقد قبلت ما كان في منطقكم من صواب، وصفحت عما كان فيه من خلل، فانصرفوا إلى ملككم، فأحسنوا موازرته، والتزموا طاعته، واردعوا سفهاءكم وأقيموا أَوَدهم، وأحسنوا أدبهم، فإن في ذلك صلاح العامة.

## مخالس بن مزاحم وقاصر بن سلمة عند النعمان بن المنذر

كان مُخالِسُ بن مُزاحِم الكَلْبِيّ، وقاصِرُ بن سَلَمَةَ الجُذَامِيّ ببباب النعمان بن المنذر، وكان بينهما عداوة، فأتى قاصر إلى ابن فَرْتَنَى وهو عمرو بن هند أخو النعمان ابن المنذر، وقال:

إنَّ مُخَالِساً هَجَاكَ، وَأنشدَهُ فِيْ ذَلِكَ أَبْيَاتاً، فَلَمَّا سَمِعَ عَمرو ذلك أتى النعمان، فشكا مخالساً وأنشده الأبيات، فأرسل النعمان إلى مخالس: فلما دخل عليه قال: «لا أمَّ لك! أتهجو امرءاً هو ميتاً خيرٌ منك حيًّا، وهو سقيماً خير منك صحيحاً. وهو غائباً خيرٌ منك شاهداً أَفَبِحُرْمة ماء المُزْن[91]، وحَقِّ أبي قابوس[92]، لئن لاح لي أن ذلك كان منك: لأنزعَنَّ غَلْصَمَتك من قفاك، ولأُطْعِمَنَّك لحمك».

قال مخالس:

«أبيتَ اللعْن! كلا، والذي رفع ذِرْوَتك بأعْمادها، وأمات حُسَّادَك بأكْمَادِهَا، ما بُلِّغْتَ غَيْرَ أَقَاوِيْلِ الْوُشَاةِ، ونَمائِمِ الْعُصَاةِ، وَمَا هَجوتُ أحداً، ولا أهْجُوْ امْرءاً ذكرتَ أبداً، وإني أعُوذُ بجَدِّكَ الْكَرِيْمِ، وعِزِّ بَيْتِكَ القَدِيْمِ، أنْ يَنَالَنِيْ مِنْكَ عِقَاب، أوْ يُفاجئني مِنْكَ عَذاب، قَبْلَ الفَحْصِ وَالبَيان، عَنْ أَسَاطِيْرِ أَهْلِ البُهْتَانِ».

فدعا النعمان قاصراً فسأله، فقال قاصر: «أبيت اللعن! وحقِّك لقد هجاه وما أروانيها سواه» فقال مخالس: «لا يأخذَنَّ أيها الملك منك قولُ امرئ آفِك[93]، ولا تُوردْني سبيل المهالك. واستدلِّ على كذبه بقوله: إني أرويته مع ما تعرف من عداوته»، فعرف النعمان صدقه فأخرجهما.

فلما خرجا، قال مخالس لقاصر: «شَقِي جَدُّك، وسَفُل خَدك، وبَطَل كَيْدك، ولاح للقوم جُرْمك، وطاش عني سَهمك، ولأنت أضيقُ حَجْراً من نَقَّاز[94]، وأقل قُوًى من الحامل على الكَرَّاز[95] فأرسلها مَثَلاً.

(مجمع الأمثال 1: 140)

## ضمرة بن ضمرة عند النعمان بن المنذر

قيل إن رجلاً من بني تميم يقال له ضَمْرَة بن ضَمْرَة، كان يُغير على مَسالح[96] النعمان بن المنذر، حتى إذا عِيل صَبر النعمان، كَتب إليه أن ادْخُلْ في طاعتي، ولك مائة من الإبل، فقبلها وأتاه، فلما نظر إليه زدراه – وكان ضمرة دَميماً– فقال:

تَسْمَعُ بالْمُعَيْدِيِّ لا أَنْ تَرَاه[97]. فقال ضمرة: مَهْلاً أَيُّها الْمَلِكُ. إِنَّ الرِّجَالَ لا يُكالُون بالصِّيعَان[98]. وإنَّما الْمَرْءُ بِأَصْغَرَيْهِ قلبهِ ولِسانِهِ. إِنْ قاتَلَ قاتَلَ بِجِنَان. وإنْ نَطَقَ نَطَقَ بِبَيَان. قال: صدقت لله دَرُّك، هل لك علم بالأمور والْوُلوج فيها؟ قال: والله إني لأُبرِمُ منها المَسْحُول[99] وأنقُضُ مِنْها الْمَفْتول. وأُحِيلُهَا حَتى تَحُولَ، ثمَّ أنظرُ إلى ما تَؤُولْ. وليْسَ للأمُوْرِ بِصَاحِبٍ. مَنْ لا ينظرُ في العَوَاقِب. قال: صدقت، لله درك! فأخبرني: ما الْعجز الظاهر، والفقر الحاضر، والداء الْعَياء[100]، والسَّوءة السَّوْءاء؟ قال ضمرة:

«أمَّا العَجْزُ الظَّاهِر. فالشَّابُّ القَلِيْلُ الْحِيْلَة. اللَّزُومُ لِلْحَليلة. الذي يَحُوْمُ حَوْلَهَا. وَيَسْمَعُ قَوْلَهَا. فإنْ غَضِبَتْ تَرَضَّاها. وإنْ رَضِيتْ تَفَدَّاها. وأمَّا الفَقْرُ الْحَاضِرُ فَالْمَرْءَ لا تَشبَعُ نَفْسُهُ. وإنْ كَانَ مِنْ ذَهَبٍ حِلْسُهُ[101]. وأَمَّا الدَّاءُ الْعَياء. فجارُ السُّوْءِ، إنْ كانَ فَوْقَك قَهَرَكَ، وإنْ كَانَ دُوْنَكَ هَمَزَكَ[102]. وإنْ أعْطَيْتَهُ كَفَرَكَ، وإنْ مَنَعْتَهُ شَتَمَكَ، فإنْ كانَ ذلكَ جَارَك، فأَخْلِ له دارَك، وعَجِّلْ منهُ فِرارَك، وإلا فأقِمْ بذلٍّ وَصَغار، وَكُنْ كَكَلْبٍ هَرَّار[103]، وأما السُّوْءَة السَّوءاء: فالحليلة الصَّخَّابة[104]، الْخَفِيْفَةُ الوَثَّابة، السَّلِيطَة[105] السَّبَّابةُ، التي تَعْجَبُ مِنْ غَيْرِ عَجَب، وتغضَب مِنْ غَيْرِ غَضَب، الظَّاهِر عَيْبُها، والْمَخُوف غَيبُها، فَزَوْجُها لا يَصلحُ لَهُ حَال، ولا يَنْعَم لَهُ بَال، إن كانَ غنيًّا لا يَنْفَعُهُ غِنَاه، وإنْ كَانَ فَقِيْراً أَبْدَتْ لَهُ قِلاه[106]، فأَرَاحَ اللهُ مِنْهَا بَعْلَها، ولا مَتَّعَ اللهُ بِهَا أَهْلَها».

فأعجب النعمانَ حُسْنُ كلامه، وحضور جوابه، فأحسن جائزته. واحتبسه قِبَله.

(جمهرة الأمثال 1: 186)

الهوامش

(1) هو كسرى أنو شروان، حكم من سنة 135 إلى 875 ميلادية.

(2) المأثرة بالفتح والضم: المكرمة المتوارثة.

(3) جمعُ فيء: وهو ما كان شمساً فينسخه الظل.

(4) فرع كل شيء: أعلاه.

(5) لا ننكص ولا نجبن.

(6) الريف: أرض فيها زرع وخصب، والسعة في المأكل والمشرب.

(7) حلَّ المكان وبه: يحلُّ بالكسر والضم.

(8) الدروع.

(9) حقَّ لك أن تفعل كذا وحققت أن تفعله بمعنى.

(10) هو ابن عمي دُنيا بضمِّ الدال وكسرها مع التنوين، وبكسرها بلا تنوين: أي لحيا.

(11) الناقة المسنَّة.

(12) البلاغ: الكفاية.

(13) الحمول والأحمال جمع حمل.

(14) القطعة من الشيء.

(15) الجزع ويكسر: الخرز اليماني الصيني فيه سواد وبياض، تشبّه به العيون.

(16) الذل.

(17) عهد.

(18) غلق الرهن: استحقه المرتهن، وذلك إذا لم يفتك في الوقت المشروط.

(19) خفر به وأخفره: نقض عهده وغدره.

(20) شرا.

(21) الوطث: الضرب الشديد بالرجل على الأرض.

(22) هو سيف بن ذي يزن.

(23) تقبيح واستهجان، والهجنة من الكلام: ما يعيبه.

(24) رجل طمطم وطِمطِمي «بكسر الطاءين» وطُمطُاني «بضمهما»: في لسانه عجمة.

(25) كان الفرس يعفون عرب الحيرة من دفع الأتاوة مقابل أن يقوموا بحمايتهم من كل غارة من نواحيهم.

(26) الانخزال: مشية في تثاقل.

(27) النجيب: البعير والفرس إذا كانا كريمين عتيقين، والمهرية: نسبة إلى مهرة بن حيدا، حتى تنسب إليه الإبل النجيبة.

(28) جمع مَرْزُبان، بفتح الميم وضمِّ الزاي؛ هو الرئيس من الفرس.

(29) التتابع والتوالي، مصدر والى.

(30) تَرجُمان: بفتح التاء وضم الجيم وبضمهما وبفتحهما.

(31) أي أصله اللجاجة، وهي تماحك الخصمين وتماديهما.

(32) من بابي ضرب وسمع.

(33) المحالةُ: الحيلة.

(34) الحكم: الحكمة (وآتيناه الحكم صبيا).

(35) ويح: كلمة رحمة، (وويل: كلمة عذاب)، وقيل هما بمعنى واحد.

(36) ورى الزَّنْد بفتح الراء وكسرها وريا ورية فهو وار وورى: خرجت ناره. وأوريته ووريته واستوريته، والزند: العود الذي يقدح به النار جمعه زناد وأزند وأزناد.

(37) استحصدَ الحبل: استحكم، والمرة: طاقة الحبل، والقوة: العقل. كناية عن قوتهم.

(38) الدرة: اللبن كالدر.

(39) عصارة: شجر مر.

(40) هي احتمال المكروه. والذلة والمنقصة.

(41) ماء زلال: سريع المر في الحلق بارد عذب صاف سهل سلس.

(42) سهولة. السلس: السهل اللين المنقاد.

(43) الرشاء: الحبل.

(44) المتح: نزع الماء من البئر.

(45) وجف الفرس والبعير عدا، وأوجفته: أعديته، يقال: أوجف فأعجف (فما أوجفتهم عليه من خيل ولا ركاب) أي ما أعملتم.

(?46) يقال: رجل ربض عن الحاجات لا ينهض فيها، وهو هنا جمع ربوض بالفتح من ربضت الشاة كبركت الناقة: أي لا تتقاعس عن نصرتك ولا نحجم.

(47) استطرقه فحلا: طلبه منه ليضرب في إبله، هذا هو الأصل، والمراد استعنت بنا.

(48) أجهضت الناقة والمرأة ولدها: أسقطته ناقص الخلق، والسقط: جهيض، وجمعه جهض، أي أن فحلنا إذا ضرب النياق (نكحها) لم تأت بجهض بل تنتج، والمراد أنه إن استنجد بهم أثمر ذلك الاستنجاد ولم يخب.

(49) من الغمض، وهو النوم، يقال ما غمضت، ولا أغمضت، ولا اغتمضت، فالوصف من الأول غامض، وللمبالغة غموض، والجمع غمض أي فلا تنام عن نصرتك.

(50) القدم: المضي أمام أمام، وهو يمشي القدم: إذا مضى في الحرب. والقدم: المقدام الشجاع. وفي الحديث «طوبى لعبد مغبر قدم في سبيل الله».

(51) الخضخاض: نفط أسود رقيق نهنأ به الإبل الجرب (ولعله خضاخضها) بضم الخاء، والخضاخض: المكان الكثير الماء.

(52) سيد القوم وقائدهم.

(53) أي قطعاً.

(54) مسن.

(55) سورة المجد: أثره وعلامته، وسورة السلطان: سطوته (والسورة المنزلة) بالضم.

(56) الرفد: العطاء.

(57) انتقد الدراهم: قبضها.

(58) أو قدنا.

(59) أعوج.

(60) الرجوع.

(61) نكأ العدو ونكاه نكاية: قتل وجرح، وأنكأ: أي أشد نكاية وقهرا.

(62) الوعث: المكان السهل الدهس تغيب فيه الأقدام والطريق الممر.

(63) أساغ الغصة ابتلعها، وساغ الشراب: سهل مدخله في الحلق.

(64) خاضعة ومقرة، بخع بالحق أقر به وخضع له.

(65) وضحت.

(66) مداخل، جمع مولج. كمجلس، ولج يلج ولوجاً ولجة.

(67) السودد: بفتح الدال والسؤدد بضمها والسود والسيادة.

(68) الظاهر أثره.

(69) ندامى. جمع ندمان، وهو النديم، وجمع النديم ندماء، ونادمه: جالسه على الشراب (ندمان بمعنى منادم مصروف، لأن مؤنثه ندمانة، أما ندمان بمعنى نادم فلا يصرف لأن مؤنثه ندمى:

كل فعلان فهو أنثاه فعلى غير وصف النديم بالندمان).

(70) خمد: كنصر وسمع.

(71) اختر واصطف.

(72) طمى الماء يطمى طميا علا، والنبت طال والبحر امتلأ، وهمته علت.

(73) نستنجد بهم.

(74) جمع شصيبة، وهي الشدة.

(75) أي سواد العراق.

(76) الخانة والخونة: جمع خائن.

(77) البازل: الجمل في السنة التاسعة، والرجل الكامل في تجربته جمع بزل وبزل.

(78) الليل المظلم والظلمة.

(79) أي أن يأتي المرء ما يقدر عليه، فإن ذلك يبلغه السودد.

(80) خليق وجدير.

(81) نصرتنا.

(82) أي مشهورة.

(83) اجتماع.

(84) الإفساد.

(85) النجعة: طلب الكلأ في موضعه.

(86) اجتذب.

(87) الوقس: انتشار الجرب في البدن، والتوقيس: الإجراب، أي لم يخدش صفاتنا ويؤثر فيها.

(88) جمع منقار، وهو حديدة كالفأس ينقر بها.

(89) أصله الأكل بأطراف الأسنان.

(90) السرو: المروءة في شرف.

(91) المزن: السحاب أو أبيضه أو ذو الماء، جمع مزنة.

(92) يعني نفسه وأبو قابوس كنيته.

(93) كذاب.

(94) الحجر: العقل، والنقاز: كرمان، وشداد: طائر أو صغار العصافير ومن قول حسان بن ثابت:

لا بأس بالقوم من طول ومن قصر جسم البغال وأحلام العصافير

(95) الكراز: الكبش يحمل خرج الراعي، أي أقل قوى من الراعي يحمل زاده على الكبش، وهو مثل يضرب لمن يرى باللؤم.(5 – جمهرة خطب العرب – أول)

(96) مسالح جمع مسلحة بالفتح وهي الثغر.

(97) وفي رواية «تسمع بالمعيدي خير من أن تراه» وهو مثل يضرب لمن خبره خير من مرآه، والمعيدي تصغير المعدي نسبة إلى معد وهو حي، خففت الدال استثقالاً للتشديد مع ياء التصغير، وقيل منسوب إلى معيد وهو اسم قبيلة.

(98) الصيعان جمع صاع وهو مكيال يكال به، ومعياره الذي لا يختلف أربع حفنان بكفي الرجل الذي ليس بعظيم الكفين ولا صغيرهما. وحرر بعض المحققين أن الصاع بالمصري قد حان وثلث.

(99) سحل الثوب: لم يبرم غزله.

(100) داء عياء: لا يبرأ منه.

(101) الحلس كساء يجعل على ظهر البعير تحت رجله.

(102) الهمز: الغمز.

(103) هرير الكلب: صوته، وهو دون النباح.

(104) أي كثيرة اللغط والجلبة من الصخب بالتحريك.

(105) الطويلة اللسان من السلاطة كفصاحة.

(106) القلى: البغض والكراهية.

# قيس بن رفاعة والحارث بن أبي شمر الغساني

كان قيس بن رفاعة يفدُ سنة إلى النُّعمان اللَّخْمي بالعراق، وسنة إلى الحارث ابن أبي شَمِر الغَسَّاني بالشأم[1]، فقال له يوماً وهو عنده: يابنَ رفاعة، بلغني أنك تفضل النعمان[2] عليَّ؟ قال:

«وَكَيْفَ أفضِّلهُ عَليكَ أبيتَ اللعْنَ؟ فَوَالله لَقَفَاكَ أَحْسنُ منْ وَجْهِهِ، ولأُمُّكَ أَشْرَفُ منْ أَبِيْهِ، ولأبوْكَ أَشْرفُ مِنْ جَمِيْعِ قَوْمِهِ، وَلَشِمالكَ أَجْوَدُ مِنْ يَمِيْنِهِ، وَلحِرْمانكَ أَنْفَعُ مِنْ نَدَاه، وَلَقليلكَ أَكْثُر منْ كثيره، ولثِمادُك[3] أغزرُ منْ غَدِيْره، ولكرسيُّكَ أَرْفَعُ مِنْ سَرِيْرِه، وَلَجَدْوَلكَ أَغْمَرُ مِنْ بُحُوْرِهِ، ولَيومُك أَفْضَلُ مِنْ شُهُوْره، وَلشَهْرُكَ أَمَدُّ من حَوْله، وَلَحَوْلكَ خَيْرٌ مِنْ حُقْبه[4]، ولزَنْدُك أوْرَىْ مِنْ زَنْدِه، وَلَجُنْدِكَ أَعَزُّ مِنْ جُنْدِه، وإنَّكَ لَمِنْ غَسَّانْ أرْبَابِ الْمُلُوْكِ، وَإنَّهُ لَمِنْ لَخْم الكثير النُّوك[5]، فَكَيْفَ أفضلُهُ عَلَيْكَ[6]؟».

(الأمالي 1: 261 ومروج الذهب 1: 298)

# قيس بن خفاف البرجمي وحاتم طيء

أتى أبو جُبَيْل قيس بن خُفاف الْبُرْجُمي حاتم طيء، في دماء حملها عن قومه، فأسلموه[7] فيها، وعجز عنها، فقالَ:

وَاللهِ لآتِيْنَّ مَنْ يَحْمِلُهَا عَنِي، وَكَانَ شَرِيْفَاً شَاعِراً، فلما قدم عليه قال: إنُّه وَقَعَتْ بَيْنَ قَوْمِي دَمَاءٌ فَتَوَاكَلُوْهَا، وَإِنِيْ حَمَلْتُهَا فِيْ مَالِيْ وَأَمَلِيْ، فَقَدَّمْتُ مَالِيْ، وَكُنتَ أملي، فإن تَحْمِلْها فَرُبَّ حَقٍّ قدْ قَضَيْتَهُ، وَهَمٍّ قَدْ كَفَيْتَهً، وإنْ حَالَ دُوْنَ ذَلِكَ حَائِلٌ لَمْ أَذْمِمْ يَوْمَكَ، وَلَمْ أَيْأَسْ مِنْ غَدِك.

فقال له حاتم: إنْ كنْتُ لأحبُّ أنْ يَأْتِيْني مِثْلُكَ مِن قَوْمِكَ، هَذَا مِرْباعي[8] مِنَ الْغَارَةِ عَلَىْ بَنِيْ تَمِيْمِ، فَخذهُ وَافِراً، فإن وَفَى بالحَمالة، وإلاَّ أكْمَلْتُهَا لَكَ، وَهوَ مَائتا بعِيْرِ سِوَىْ بَنِيْهَا وَفِصَالِهَا، مَعَ أنِّيْ لا أُحِبُّ أَن تُويسَ قَوْمِكَ بَأَمْوَالِهِمْ، فَضحَكَ أبو جُبَيْل وقال: لَكُمْ ما أَخَذْتُمْ مِنَّا، وَلَنَا ما أَخَذَنا مِنْكُم، وأَيُّ بَعِيْرٍ دَفَعْتَهُ إلَيَّ، لَيْسَ ذَنبَهُ فِيْ يَدِ صَاحِبِهِ، فَأَنْتَ مِنْهُ بَرِيءٌ، فَدَفَعَهَا إليْهِ وَزَادَهُ مَائَةَ بَعِيْرٍ، فأخذها وانصرف راجعاً إلى قومه.

(ذيل الأمالي ،22 والأغاني 7: 145)



## مقال قبيصة بن نعيم لامرئ القيس بن حجر

قدم على امرئ القيس بن حُجْر الكِنْدِي بعد مقتل أبيه رجال من قبائل بني أسد وفيهم قَبيصَة بن نُعَيْم يسألونه العفو عن دم أبيه[9]، فخرج عليهم في قباء وَخُفٍّ وعمامة سوداء – وكانت العرب لا تَعْتَمُّ بالسواد إلا في التِّرَات –فلما نظروا إليه قاموا له، وبَدَرَ إليه قبيصة فقال:

«إِنَّكَ فِيْ المحلِّ والْقَدْرِ، والْمَعْرِفَةِ بِتَصرُّفِ الدَّهْرِ، وَمَا تُحْدِثُهُ أيَّامُهُ، وتتنَقَّلُ بِهِ أحْوَالُهُ، بِحَيْثُ لا تَحْتَاجُ إلى تذْكِيْرٍ مِنْ وَاعِظٍ، ولا تَبْصِيْرٍ مِنْ مُجرِّبٍ، وَلَكَ مِنْ سُؤْدَدِ مَنْصِبِكَ، وَشَرَفِ أَعْرَاقِكَ[10]، وَكَرَمِ أَصْلِكَ في العَرَبِ، مَحْتِدٌ[11] يحتمل ما حُمِّلَ عليهِ من إقالةِ العَثْرَةِ، ورجوعٍ عن الهَفْوَةِ، ولا تَتَجاوزُ الهِمَمِ إلى غَايةٍ إلا رَجَعَتْ إليْكَ، فَوَجَدَتْ عِنْدَكَ مِنْ فَضِيْلَةِ الرَّأْيِ، وَبَصِيْرَةِ الفَهْمِ، وَكَرَمِ الصَّفْحِ، ما يَطولُ رَغْباتِها، وَيَسْتَغْرِقُ طَلِباتِهَا، وَقَدْ كَانَ الذيْ كَانَ مِنَ الخَطْبِ الْجَلِيْلِ، الذيْ عَمَّتْ رَزِيتَهُ نِزَاراً واليمنَ، وَلَمْ تُخْصَصْ بذلكَ كِنْدَةَ دوننا، للشرفِ البارعِ كان لِحُجْرٍ، التاجُ والعِمَّةُ فوقَ الْجَبِيْنِ الْكَرِيْمِ، وإِخَاءُ الحمدِ وطيب الشِّيَمِ، ولوْ كانَ يُفْدَى هَالكٌ بالأنفسِ الباقيةِ بَعدَهُ لَمَا بَخلتْ كرائمُنا بِهَا على مِثْلِهِ، وَلَكِنَّهُ مَضَىْ بِهِ سَبِيْلٌ لا يَرْجِعُ أُخراه على أوْلاه، ولا يَلْحَقُ أَقْصَاهُ أَدْنَاهُ.

فأحمدُ الحالاتِ في ذلكَ أنْ تَعرفَ الوَاجِبَ عَلَيْكَ في إِحْدَى خِلال ثلاثٍ: إمّا أنِ اخترتَ من بني أسدَ أشرفَها بَيْتاً، وأعلاها في بناءِ المكرُماتِ صَوتاً، فقُدْناه إليك بِنِسْعَةٍ[12]، تذهبُ مع شَفَرَاتِ حُسامِكَ بِباقي قَصَرتِهِ[13]، فنقول: رجل امْتُحِنَ بِهالكٍ عزيزٍ، فَلَمْ يسْتَلَّ سَخِيمَتَهُ[14] إلا تَمْكِيْنُهُ من الانتقام. أو فداءٌ بما يَروح[15] على بني أسد من نعَمِها، فَهْيَ ألوفٌ تجاوزُ الحِسْبَةَ، فكانَ ذَلِكَ فِدَاءٍ رجعت به القُضُبُ[16] إلى أجفانها، لم يرددها تسليط الإحن[17] علي البرآء. وإما أنْ وَادَعْتَنا إلى أنْ تَضَعَ الحواملُ، فتُسْدل الأُزُرُ، وتُعقدَ الخُمرُ فوقَ الرايات».

فبكى امرؤ القيس ساعة، ثم رفع رأسه فقال:

## رد امرئ القيس عليه

«لقد علمت العرب أنه لا كُفْءَ لِحُجْر في دم، وأني لن أعتاضَ به جَمَلاً ولا ناقة، فأكتسب به سُبَّةَ الأبد، وفَتَّ العَضُدِ[18]، وأما النَّظِرَة[19] فقد أوجبتها الأجِنَّةُ في بُطُونِ أُمَّهاتها، ولنْ أكونَ لعَطَبِها سَبباً، وَسَتَعْرِفون طَلائعَ كِنْدة مِنْ بعد ذلكَ، تحملُ في القلوبِ حَنَقاً، وَفوقَ الأسنَّةِ عَلَقاً[20]»:

«إذا جالتِ الحرب في مأزِقٍ تُصافِحُ فيهِ المنايا النفوسا»

أتقيمون أم تنصرفون؟

قالوا: «بل ننصرف بأسوأ الاختيار، وأبلى الاجترار، بمكروهٍ وأذيَّة، وحرب وبَلِيَّة» ثم نهضوا عنه وقبيصة يتمثل:

«لعلك أنْ تَسْتَوخِمَ الْوِرْدَ إنْ غَدَتْ كَتائِبُنا في مأزِق الحربِ تُمْطِرِ[21]»

فقال امرؤ القيس: «لا والله، ولكن أستعذِبهُ، فرُوَيْدا، ينفرجْ لك دُهاجا عن فُرسان كِنْدةَ وكتائب حِمْيَر، وَلَقَدْ كَانَ ذِكرُ غَيْرِ هَذَا بي أولى، إذ كنت نازلاً برَبْعي[22]، ولكنك قلتَ فأوجبت» فقال قبيصة: «ما يُتَوَقَّعُ فَوقَ قَدرِ الْمُعاتبة والإعتاب[23]» فقالَ امرؤ القي: «هو ذاك».

(صبح الأعشى 2: 612 والأغاني 8: 27 والمثل السائر 101)

## من خطبة لـ عمرو بن كلثوم

«أَمَّا بَعْدُ: فإِنَّهُ لا يُخْبِرُ عَنْ فَضْلِ الْمَرْءِ أصْدقُ من تركِهِ تزكيةَ نفسِهِ، ولا يُعبِّرُ عنهُ في تزكيةِ أصحابِهِ أصدَقُ من اعتمادِهِ إيَّاهُمْ برغبتِهِ، وائتمانِهِ إيَّاهُم على حُرْمَتِه».

(البيان والتبيين 2: 69)

## بين مهلهل بن ربيعة ومرة بن ذهل بن شيبان

لما قتل جَسَّاس[24] بن مُرَّة بن ذُهْل الشَّيْباني كُلَيْب[25] بن ربيعة التغلبيّ تشمَّر أخوه مُهَلْهِل[26]، واستعد لحرب بكر، وجمع إليه قومه، فأرسل رجالاً منهم إلى بن شيبان، فأتَوْا مرة بن ذُهل بن شيبان «أبا جساس» وهو في نادي قومه، فقالوا له:

«إِنَّكُمْ أتَيْتُمْ عَظِيماً بِقَتْلِكُم كليباً بناب[27] من الإبِلِ، فَقَطَعْتُم الرَّحِم، وانتهكتم الحُرْمة، وإنا كرِهْنا العَجَلَةَ عَلَيْكُمْ دونَ الإعذارِ إليْكُم، وَنَحن نعرض عليكم خِلالا أربعا، لَكُمْ فيْهَا مَخرَج، ولنا فِيْهَا مَقْنَع، فقال مرة: وما هي؟ قالوا: تُحْيِي لنا كليباً، أو تدفع إلينا جساساً قاتلَهُ فنقْتُلُهُ به، أو هَمَّاماً[28] فإنَّهُ كُفْءٌ لَهُ، أوْ تمكِّننا مِنْ نَفْسِكَ، فإنَّ فِيْكَ وَفَاءً مِنْ دَمِهِ، فقال: «أمّا إحيائي كليباً، فهذا ما لا يكونُ، وأما جَسَّاسٌ فإنَّهُ غُلامٌ طَعَنَ طَعْنَةً على عَجَلٍ، ثمَّ رَكِبَ فَرَسَهُ، فلا أدري أيُّ البلادِ احتوى عَلَيْهِ، وأَمَّا هَمَّام فإنَّهُ أبو عَشْرَةٍ، وأخو عَشْرَةٍ، وَعَمُّ عَشْرَةٍ، كُلُّهُمْ فُرْسانُ قَوْمِهِمْ، فَلَنْ يسلمُوهُ لِيْ، فأدفعَهُ إليكم يُقْتَلُ بِجَرِيرَةِ[29] غيره. وأمَّا أنا فَهَلْ هُوْ إلا أنْ تَجولَ الخيلُ جَوْلَةً غداً، فأكونَ أوَّلَ قتيلٍ بَيْنَهَا؟ فما أتعجَّلُ الْمَوْتَ، ولكنْ لَكُمْ عِنْدِيْ خَصْلتانِ: أما إحداهُمَا فهؤلاءِ بَنِيَّ الباقُون، فعلقُّوا في عنق أَيِّهِم شئتم نِسْعَةً، فانْطَلِقُوا بِهِ إلى رِحَالِكُمْ، فاذْبَحُوْهُ ذبْحَ الجَزُورِ، وإلا فألفُ ناقةٍ سودِ الحَدَقِ، حُمْرُ الوَبَرِ، أقيمُ لَكُمْ بها كَفِيْلاً من بني وائل، فَغَضِبَ الْقَوْمُ وقالوا: لقد أسأت، تَبْذُلُ لنا ولدك، وتسومُنا اللَّبَنَ من دم كليب؟» ونَشِبَتِ الحرب بينهم.

(العقد الفريد 3: 78، والكامل لابن الأثير 1: 190، والأغاني 4: 141)

## منافرة علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين

تنازع في الرِّياسة عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر، وعَلْقَمَةُ بن عُلاثَةَ بن عوف بن الأَحْوَص ابن جعفر.

فقال علقمة:

كانَتْ لجدِّي الأَحْوَصِ، وإنَّما صَارتْ لِعَمِّكَ بسببِهِ، وَقَدْ قَعَدَ عمك عنْهَا، وأنا استرجَعْتُها، فَأنا أَوْلى بِها مِنْكَ، فَشَرِيَ[30] الشَّرُّ بينهما، وسارا إلى المنافرة.

فقال علقمة:

إن شئت نافرتك، فقال عامر قد شئت. والله إنِّي لأكرم منك حَسَباً[31]، وأثبت منك نَسَباً، وأطول منك قَصَباً[32].

فقال علقمة:

واللهِ لأَنَا خَيْرٌ مِنْكَ لَيْلاً وَنَهاراً، فقال عامر: والله لأنا أَحَبُّ إلى نِسائكَ أنْ أُصْبِحَ فِيهِنَّ منك، أنا أنْحَرُ منك لِلِّقاحِ[33]، وخير منك في الصباح، وأطعم منك في السنة الشِّياحِ[34].

فقال علقمة:

أنا خَيْرٌ مِنْكَ أثراً، وأَحَدُّ مِنْكَ بَصَراً، وأَعَزُّ مِنْكَ نَفَراً، وأشْرَفُ مِنْكَ ذِكْراً. فقال عامر: ليس لبني الأحوص فضل عَلى بني مالك في العدد، وبَصَري ناقِصٌ، وبَصَرُكَ صَحيحٌ، ولكني أُنافرك، إنِّي أَسْمَى منك سُمَّةً[35]، وأطْوَلُ منك قِمَّةً، وأحْسَنُ منك لِمَّةً[36]، وأجْعَدُ منك جُمَّةً[37]، وأسْرَعُ منْكَ رَحْمَةً، وأبْعَدُ منك هِمَّة. فقالَ علقمة: أنْتَ رَجلٌ جَسِيمٌ، وأنا رَجُلٌ قَضِيفٌ[38]، وأَنْتَ جَمِيلٌ، وأنا قَبِيحٌ، ولكني أنافركَ بِآبائي وأَعْمامِي. فقال عامر: آباؤكَ أَعْمامي، وَلَمْ أكنْ لأُنافرَكَ بِهِمْ وَلَكِنْ أُنافرك، أنا خَيرٌ مِنْكَ عَقِباً، وأطعمُ مِنَكَ جَدْباً. فَقَالَ علقمة: قدْ علمت أن لك عَقِباً، وقد أطعمت طَيْباً، ولكني أُنافرك، إنِّي خيرٌ منك، وَأولى بالخيرات منك.

فخرجت أُمُّ عامر – وكانت تسمع كلامهما– فقالت: يا عامر نافره، أيكما أولى بالخيرات. قالَ عامر: إنِّي والله لأَرْكَبُ منك في الحُماة، وأقتل منك لِلْكُماةِ[39]، وخَيْرٌ منك لِلْمَوْلَى والمَوْلاة: فقالَ لهُ علقمة: والله إنِّي لَبَرٌّ، وإنَّكَ لَفَاجِر، وإني لَوَلُوْدٌ، وإنَّكَ لعاقر[40]، وإنِّي لَعَفٌّ، وإنك لعاهِرٌ، وإنِّي لَوَفِيٌّ، وإنك لغادِر، فَفِيمَ تُفاخِرُني يا عامر؟ فقالَ عامر: والله إنِّي لأنْزَلُ منك لِلْقَفْرَةِ[41]، وأنْحَرُ منك لِلْبَكْرَةِ[42]، وأطعم منك لِلْهَبْرَةِ[43]، وأَطْعَنُ منك للثُّغْرَة. فقالَ علقمة: والله إنَّكَ لَكَلِيْلُ البَصَرِ، نَكِدُ النَّظَرِ، وثَّابٌ على جاراتك بالسَّحَر.

فقالَ بنو خالد بن جعفر– وكانوا يداً مع بني الأحوص عَلى بني مالك بن جعفر – لَنْ تُطيق عامراً، ولكن قل لهُ أُنافرك بخيرنا وأقربنا إلى الخيرات. فقالَ لهُ علقمة هذا القول، فقالَ عامر: عَيْرٌ[44]، وتَيسٌ، وتَيسٌ وعَنْز. فَذَهَبَتْ مثلاً. نعم، عَلى مائة مِنَ الإبلِ إلى مائة من الإبل يُعْطاها الحَكم، أَيُّنا نَفَرَ عليهِ صاحبهُ أخرجها، ففعلوا ذلك، ووضعوا بها رَهْناً مِنْ أَبْنائِهِمْ على يدي رَجُل يُقالُ لهُ خُزَيْمة بن عمرو بن الوحيد، فسمي «الضَّمِين».

وخرج علقمة ومَنْ معهُ من بني خالد، وخرج عامر فيمن معهُ من بني مالك، وجعلا منافرتهما إلى أبي سفيان بن حرب بن أُمَيَّة، فلم يَقل بينهما شيئاً، وكره ذلك لحالهما وحال عشيرتهما، وقال: أنتما كركبتي البعير الأَدْرَم[45]، قالا: فَأَيُّنا اليمين؟ قالَ كلاكما يمين، وأبى أن

يقضي بينهما. فانطلقا إلى أبي جهل بن هشام فأبى أن يحكم بينهما – وقد كانت العرب تَحاكم إلى قُرَيش – فأَتيا عُيينة بن حِصْن بن حُذَيْفَةَ، فأَبى أن يقول بينهما شيئاً، فأَتيا غَيْلانَ بن سَلَمَةَ النقفي، فَرَدَّهُما إلى حَرْمَلَةَ ابن الأشعر المُرِّي، فَرَدّهما إلى هَرِم بن قُطْبة بن سنان الْفَزَاري، فانْطَلَقا حتى نزلا به، وقد ساقا الإبل معهما حَتّى أَشتَتْ وأَرْبَعَتْ، لا يأتيان أحداً إلاّ هابَ أن يقضي بينهما، فقالَ هرم: لعمري لأحكمنّ بينكما ثمَّ لأَفْصِلَنَّ، فأعطِياني موثقاً أطمئِن إلَيْهِ أن ترضيا بما أقول، وتُسَلِّما لما قضيتُ بينكما، وأمرهما بالانصراف، ووعدهما ذلك اليوم من قابِل، فانصرفا، حَتَّى إذا بلغ الأجل خرجا إليهِ، وأقام القوم عنده أَياماً.

فأَرسل هرم إلى عامر فأَتاهُ سرًّا لا يعلم بهِ لا يعلم بهِ علقمة، فقال يا عامر: قد كنت أَرَى لك رَأْياً، وأن فيك خيراً. وما حَبَسْتُكَ هذه الأيام إلاّ لتنصرف عن صاحبِك، أَتنافر رجلاً لا تفخر أنت وقومك إلاَ بآبائهِ! فما الذي أَنت بهِ خيرٌ منه؟ فقالَ عامر: نَشَدْتك الله والرَّحِمَ أَن لا تفضل عَلَيَّ علقمة، فوالله لئِن فعلت لا أُفْلِحُ بعدها أَبداً. هذه ناصيتي فاجْزُزها واحتكِمْ في مالي، فإِن كنتَ لا بد فاعلاً، فسوّ بيني وبينه، قال: انصرف فسوف أرى رأْيي. فخرج عامر وهو لا يشك أنه ينفّره[46] عليه، ثم أرسل إلى علقمة سراً لا يعلم به عامر، فأتاه، وقال له مثل ما قال لعامر، فرد عليه علقمة بما ردّ به عامر، وانصرف وهو لا يشك أنه سيفضّل عليه عامراً. ثم إن هرما أرسل إلى بنيه وبن أبيه: إني قائل غداً بين هذين الرجلين مقالة، فإذا فعلت فليطرد بعضكم عشر جزائر، فلينْحَرْها عن علقمة، ويطرد بعضكم عشر جزائر، ينحرها عن عامر، وفرقوا بين الناس لا تكون لهم جماعة، وأصبح هرم فجلس مجلسه، وأقبل الناس، وأقبل علقمة وعامر حتى جلسا، فقام هرم فقال: يا بني جعفر، قد تحاكمتما عندي، وأنتما كركبتي البعير الأدرم: تقعان إلى الأرض معاً، وليس فيكما أحد إلا وفيه ما ليس في صاحبه، وكلاكما سيد كريم، وعَمَد بنو هرم وبنو أخيه إلى تلك الجُزُر، فنَحروها حيث أمرهم هرم، وفرقوا الناس، ولم يفضل هرم أحداً منهما عَلى صاحبه، وكره أن يفعل، وهما ابنا عم فيجلب بذلك عداوة، ويوقع بين الحيين شراً.

**(الأغاني 15: 51، وصبح الأعشى 1: 382، وسرح العيون 106، والعمدة 1: 28.)**

**الهوامش**

**[1] كان المناذرة ملوك الحيرة من لخم، والغساسنة: ملوك الشام من الأزد. فكلاهما من أصل يمني، وكان بينهما أحقاد وأضغان وحروب.**

**[2] النعمان بن المنذر.**

**[3] الثماد: الماء القليل لا مادة له.**

**[4] الْحُقب بالضم وبضمتين: ثمانون سنة أو أكثر، والدهر، والسنة أيضاً.**

**[5] النُّوك بالضم والفتح: الحمق.**

**[6] وذكر المسعودي أن هذا الحديث كان بين حسان بن ثابت الأنصاري، وبين الحارث بن أبي شمر.**

**[7] خذلوه.**

**[8] المرباع: ربع الغنيمة، وكان يختص به قائد الغارة وفارسها.**

**[9] وكانت بنو أسد (وهم من المضرية) خاضعة لملوك كندة، وآخر ملك عليهم هو حجر أبو امرئ القيس، وقد ثاروا عليه وقتلوه لأنه كان قد عسف في حكمه لهم، واشتط عليهم في الإتاوة التي يؤدونها إليه.**

**[10] الأعراق: جمع عرق وهو أصل كل شيء.**

**[11] المحتد: الأصل.**

**[12] النسع: سير عريض تشد به الرحال، والقطعة منه نسعة.**

**[13] القصرة: أصل العنق.**

**[14] السخيمة: الحقد.**

**[15] يرجع، وأراح الإبل: ردها إلى المراح بالضم أي المأوى، والنعم الإبل والشاء، أو خاص بالإبل، وهو المراد هنا.**

**[16] السيوف.**

**[17] الإحن: جمع إحنة، وهي الحقد.**

**[18] فته: كسره، وهو كناية عن الضعف والوهن.**

**[19] الإمهال.**

**[20] أي دماً.**

**[21] تستوخمه: أي تجده وخيماً.**

**[22] الربع: المنزل.**

**[23] أعتبه: أرضاه.**

**[24] وسبب ذلك أن البسوس بنت منقذ التميمة خالة جساس كان لها جار من جرم يقال له سعد بن شميس، وكانت له ناقة يقال لها سراب، وكان كليب قد حمى أرضاً من أرض العالية، في أنف الربيع، فلم يكن يرعاه أحد إلا إبل جساس لمصاهرة بينهما ؟ وكانت جليلة بنت مرة أخت جساس تحت كليب ؟ فخرجت سراب في إبل جساس ترعى في حمى كليب، ونظر إليها كليب فأنكرها فرماها بسهم فأصاب ضرعها، فهوت حتى بركت بفناء صاحبها وضرعها يشخب دماً ولبناً، فلما نظر إليها صرخ بالذل، فخرجت البسوس فضربت يدها على رأسها، ونادت واذلاه وسمعها جساس فسكتها، وقال لها: ليقتلن غداً فحل أعظم من ناقة جارك، ولم يزل يتوقع غرة كليب حتى أمكنته منه الفرصة فقتله، ونشبت من أجل ذلك الحرب (حرب البسوس) بين بكر وتغلب ابني وائل أربعين سنة .**

**[25] اسمه وائل بن ربيعة بن حارث بن زهر بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل، وإنما لقب كليباً لأنه كان إذا سار أخذ معه جرو كلب، فإذا مر بروضة أو موضع يعجبه، ضربه ثم ألقاه في ذلك المكان وهو يصيح ويعوي، فلا يسمع عواءه أحد إلا تجنبه، ولم يقربه، وكان يقال كليب وائل ثم اختصروا فقالوا كليب فغلب عليه.**

**[26] اسمه عدي بن ربيعة، وإنما قيل له المهلهل لأنه أول من هلهل الشعر: أي أرقه.**

**[27] الناقة المسنة.**

**[28] هو همام بن مرة أخو جساس، وكان نديماً لمهلهل.**

**[29] الجريرة: الجريمة.**

**[30] استطار.**

**[31] الحسب: ما تعده من مفاخر آبائك، أو الشرف الثابت في الآباء، أو الكرم، أو الشرف في الفعل أو الفعال الصالح.**

**[32] القصب: عظام اليدين والرجلين ونحوهما، كناية عن طول قامته.**

**[33] الابل: واحدتها لقوح.**

**[34] الشياح: القحط.**

**[35] السمة: القرابة، ويروى أنا أنشر منك أمة، أي أكثر قوماً.**

**[36] اللمة: الشعر المجاوز شحمة الأذن.**

**[37] مجتمع شعر الرأس.**

**[38] نحيف من القضف، وهو النحافة.**

**[39] جمع كمي، وهو الشجاع.**

**[40] رجل عاقر: لم يولد له ولد.**

**[41] القفرة: القفر. الخلاء من الأرض.**

**[42] البكرة: الفتية من الإبل.**

**[43] الهبرة: قطعة مجتمعة من اللحم. هبره قطعه قطعاً كباراً، وهبر له من اللحم هبرة قطع قطعة.**

**[44] العير: الحمار وغلب على الوحشي، وهو أقوى من التيس، أي مثلي وإياك كالعير والتيس، أو على الأقل كالتيس والعنز، إذ التيس أقوى على النطاح من العنز، وفي المثل: «كان عنزا فاستتيس» أي صار تيساً. يضرب للذليل الضعيف يصير عزيزاً قوياً.**

**[45] درم العظم: واراه اللحم حتى لم يبن له حجم، وامرأة درماء لا تستبين كعوبها ومرافقها، وكل ما غطاه الشحم واللحم وخفى حجمه فقد درم.**

**[46] أنفره عليه ونفره عليه: قضى له عليه بالغلبة.**

# كلمات هند بنت الخس الإيادية

أتى رجل هندَ بنت الخُسِّ الإياديّة يستشيرها فِيْ امرأة يتزوَّجها. فقالت: «انْظُر رمْكاءَ[1] جَسِيمَةً، أَو بيضاء وَسِيمَة، فِيْ بيتِ جِدٍّ، أَوْ بيتِ حَدٍّ، أَوْ بيْتِ عزٍّ» قال: ما تركْتِ من النِّسَاْء شيئاً، قالت:

«بلى، شرَّ النِّسَاْء تركْتُ: السُّوَيْدَاء المِمْراض[2]، والحُمَيْراء المِحْياض[3] الكثيرة المِظاظِ[4]».

و قيل لها: أي النساء أسوأ؟ قالت:

«التي تقعُد بالفِناء، وتملأُ الإِناء، وتمْذُق[5] ما فِيْ السِّقاء»

قيل: فأي النِّسَاْء أفضل؟ قالت:

«التي إذا مَشَتْ أَغْبَرَتْ[6]، وإِذا نَطَقَتْ صَرْصَرَت[7]، مُتَوَرِّكَةً جارِية[8]k، فِيْ بَطْنِهَا جاريةٌ، يتبعُها جارية[9]».

قيل: فأي الغلمان أفضل؟ قالت:

«الأَسْوَق الأَعْنَق[10]، الذي إنْ شَبَّ كأنه أحمق»

قيل: فأي الغِلمان أفسل[11]؟ قالت:

«الأُوَيْقِصُ[12] القَصِيْرُ العَضُدِ، العَظِيْمُ الْحَاْوِية[13]، الأُغَيْبِر الْغِشَاْءِ، الذي يُطيعُ أُمَّه، ويعْصى عَمَّه».

**(الأمالي 2: 260)**

وقيل لها: أيُّ الرجال أَحَبُّ إليك؟ قالت:

السهْلُ النَّجِيْب، السَّمْحُ الحَسِيب، النَّدْب[14] الأرِيب، السيَّدُ المَهيب،

قيل لها: فهل بقي أحد من الرجال أفضل من هذا؟

قالت:

نعم الأهْيَفُ الهَفْهاف[15]، الأنِفُ العَيَّاف، المُفِيدُ المِتْلاف، الذي يُخيفُ وَلا يَخاف،

قيل لها: فأيُّ الرجال أَبْغَضُ إليك؟ قالت:

الأوْرَهُ[16] النَّثُوم، الوَكَل السَّئُوم، الضَّعِيفُ الحَيْزُومِ، اللئيم الملُومُ.

قيل لها: فهل بقي أحد شر من هذا؟ قالت:

نعم، الأحمقُ النزَّاع، الضائعُ المُضَاع، الذي لا يُهابُ ولا يُطاع،

قالوا: فأيُّ النِّسَاْء أحب إليك؟ قالت:

البيضاءُ الْعَطِرَة، كأنها ليلة قَمِرَة[17]،

قيل: فأي النِّسَاْء أبغض إليك؟ قالت:

الْعِنْفِصُ[18] القَصِيرةُ، التي إنْ استنْطَقْتَها سكَتَتْ، وإن سَكَتَّ عنها نَطَقَت.

**(ذيل الأمالي ص 120)**

وقال لها أبوها يوماً: أي المال خير؟ قالت:

«النَّخْل، الراسخاتُ فِيْ الوَحْل، المطعِمات فِيْ المَحْل[19]»

قال: وأي شيء؟ قالت:

«الضأن: قرْيةٌ لا وًباءَ بِها، تُنتِجُها رِخالا[20]، وتَحْلُبها عِلالا[21]، وتجَزُّ لها جُفالا[22]، ولا أرى مِثْلَها مالاً»

قال: فالإبل مالكِ تُؤَخِّرينها؟ قالت:

«هي أذْكارُ الرِّجَال، وإرْقاءُ الدِّماءِ، ومُهُورُ النساء»

قال: فأي الرِّجال خير؟ قالت:

خير الرِّجالِ المُرَهَّقُونَ كما خيرُ تِلاع البلاد أَوْطَؤُها[23]

قال: أيهم؟ قالت:

«الذي يُسْأَلُ ولا يَسْأَلُ، ويُضيفُ ولا يُضافُ، ويُصْلِح ولا يُصْلَح».

قال: فأي الرجال شرّ؟ قالت:



«النُّصَيْط النُّطَيط[24] الذي مَعَهُ سُوَيْط[25]، الذي يقولُ أدْرِكوني من عَبْد بني فلان؛ فإني قاتِلُهُ أو هو قاتلي».
قال: فأيُ النِّسَاْء خير؟ قالت:
«التي فِيْ بطنها غلامٌ، تحملُ على وَرِكها غُلاماً، يَمشي وَراءها غُلام»
قال: فأيُّ الْجَمَاْلِ خَيْرٌ؟ قالت:
«السِّبَحلُ الرِّبَحْل[26]، الراحلة الفَحْ».
قال: أرأيتَك الجَذَع[27]، قالت:
لا يَضْرِب، ولا يَدَع،
قال: أرأيتك الثنيَّ[28] قالت:
يضرب، وضِرَابُهُ وَفِيّ[29]،
قال: أرأيتك السَّدَس[30]، قالت:
ذاك العَرِس[31].

(ذيل الأمالي ص 108)

وقيل لها: أيُّ الخيل أحبُّ إليك؟ قالت:
«ذو المَيْعَة الصَّنيع[32]، السَّلِيط التَّلِيع[33]، الأيِّد الضَّلِيع[34] المُلْهِب[35] السريع»
فقيل لها: أي الغيوث أحب إليك؟ قالت:
«ذو الهَيْدَب المُنْبَعِق[36]، الأضخم المُؤْتَلِق[37] الصَّخِب المُنْبَثِق[38]»
وقيل لها: ما مائة من المَعْز؟ قالت:
مُوَيْلٌ يَشِفُّ الفقرُ من ورائه، مال الضعيف، وحِرْفة العاجز»
قيل: فما مائة من الضَّأن؟ قالت:
«قرْية لا حِمَى بها»
قيل: فما مائة من الإبل؟ قالت:
«بَخ[39]، جمال ومال، ومُنى الرجال».
قيل: فما مائة من الخيل؟ قالت:
«طغَى مَنْ كَانَتْ لَهُ ولا يُوْجَد»
قيل: فما مائة من الحمُر؟ قالت:
«عازِبة[40] الليل، وخِزْي المجلس، لا لَبَنَ فَيُحْلَب، ولا صُوْفَ فَيُجَزُّ، إنْ رُبِطَ عَيْرُها[41] أَدْلَى، وإِنْ تُرِكَ وَلَّى،
وقيل لها: من أعظم النَّاس فِيْ عينك؟ قالت:
«مَنْ كَانَتْ لي إليه حَاجة».

(سرح العيون ص 184)

وقالت:
«أخبثُ الذِّئاب ذئبُ الْغَضا[42]، وأخْبَثُ الأفاعي أفعى الجَدْب، وأسرع الظِّباء ظباء الحُلَّب[43]، وأشدُّ الرِّجَال الأعجَف[44]، وأجملُ النِّسَاْء الْفَخْمة الأَسِيلة[45]، وأقْبَحُ النِّسَاْء الجَهْمة الْقَفِرة[46]، وأكلُ الدوابِّ الرَّغُوث[47]، وأطيَبُ اللحْم عُوَّذُهُ[48]، وأغلظُ المواطئ الحَصَى على الصَّفا، وشرُّ الْمَاْلِ ما لا يُزْكَى[49] ولا يُذَكِّي[50]، وخَيْرُ الْمَاْلِ سِكَّة مأبورة[51]، أو مُهْرَة مأمُوْرَة[52]».

(مجمع الأمثال 1: 174)

## من خطبةٍ لكعب بن لؤي

وخطب كعب بن لؤي (وهو الجد السابع للنبي صلى الله عليه وسلم) فقال:

«اسمعوا وَعُوا، وتَعَلَّموا تعلَّموا، وتَفَهَّمُوا تَفْهَمُوا، ليل ساج[53]، وَنَهَاْر صاج[54]، والأرضُ مِهاد، والجبالُ أوتاد، والأَوَّلوْنَ كالآخِرِيْنَ، كلُّ ذلكَ إِلَىْ بَلاء، فصِلوا أرْحَاْمَكُم، وأصلحوا أحْوَالكم. فَهَلْ رَأَيتُمْ مَنْ هَلَكَ رَجع، أوْ مَيْتاً نُشِرْ، الدَّارُ أَمَاْمَكُمْ، والظنُّ خِلافُ مَا تَقُوْلُوْنَ، زَيِّنُوا حَرَمكم وَعَظِّمُوْهُ، وَتَمَسَّكُوْا بِهِ ولا تُفَاْرِقُوْهُ، فَسَيَأْتِيْ لَهُ نَبَأٌ عَظِيْمٌ وَسَيَخْرُجُ مِنْهُ نَبِيٌّ كَرِيْم.

## من خطبة لهاشم بن عبد مناف

يحثّ قريشاً على إكرام زوّار بيت الله الحرام
كَاْنَ هاشم بن عبد مناف يقوم أوّل نهار اليوم الأول من ذي الحجة فَيُسْنِدُ ظهره إِلَىْ الكعبة من تلقاء بابها، فيخطب قريشاً، فيقول:

«يا مَعْشَرَ قُرَيْش، أَنْتُمْ سَاْدَةُ الْعَرَب، أَحسنَها وُجُوْهاً، وَأَعْظَمَها أحْلاماً، وَأوسَطها[55] أنْسَاْبَاً، وَأَقْرَبُهَا أَرْحَاْمَاً. يا مَعْشَرَ قُرَيْش، أَنْتُمْ جِيْرَاْنُ بَيْتِ الله، أكْرَمَكُمْ بوَلايَتِهِ وَخصَّكم بِجِوَاْرِه، دُوْنَ بَنِيْ إسماعيلَ، وَحَفِظَ منكُمْ أَحْسَنَ مَا حَفِظَ جارٌ مِنْ جَاْرِه، فَأَكْرِمُوا ضيْفَهُ، وزُوَّارَ بَيْتِهِ، فإنَّهُمْ يأتُوْنَكُمْ شُعْثاً[56] غُبْراً مِنْ كلِّ بَلَد، فَوَرَبِّ هذه الْبَنِيَّة[57]، لَوْ كَاْنَ لِيْ مَاْلٌ يَحْمِلُ ذَلِكَ لَكَفَيْتُمُوْهُ، ألا وإِنِّيْ مُخْرِجٌ مِنْ طَيِّبِ مالي وَحَلاْلِه، مَا لَمْ يُقْطَعْ فيهِ رَحِم، وَلَمْ يُؤْخَذْ بِظُلم، وَلَمْ يَدْخُلْ فِيْهِ حَرَاْمٌ، فَوَاضِعُهُ، فَمَنْ شَاْءَ مِنْكُمْ أَنْ يَفْعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ فَعَلَ، وَأَسْأَلُكُمْ بِحُرْمَةِ هذا البيْتِ ألاَّ يُخْرِجَ رَجُلٌ مِنْكُمْ مِنْ مَاْلِهِ، لِكَرَاْمَةِ زُوَّاْرِ بَيْتِ الله وَمَعُوْنَتِهِمْ إلاَّ طَيباً، لَمْ يُؤْخَذْ ظُلْماً، وَلَمْ يُقْطَعْ فِيْهِ رَحِمٌ، وَلَمْ يُغْتَصَبْ».

(شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 3: 458)

**الهوامش**

[1] الرمكاء: السمراء، والرمكة كحمرة لون الرماد.
[2] الممراض: المسقام.
[3] الكثيرة الحيض.
[4] المظاظ: المنازعة والمشارّة.
[5] تمزج.
[6] أثارت الغبار في مشيتها.
[7] أحدث صوتها.
[8] أي حاملة لها على وركها.
[9] أي هي مئنات.
[10] الأسوق: الطويل الساق، والأعنق: الطويل العنق.
[11] أفعل من فسل: ككرم وعلم وعنى فسالة وفسولة فهو فسل: أي رذل لا مروءة له.
[12] الأويقص: تصغير أوقص، وهو الذي يدنو رأسه من صدره.
[13] ما تحوي من الأمعاء أي استدار.
[14] الندب: الخفيف في الحاجة الظريف النجيب، والأريب: العاقل.
[15] الأهيف وصف من الهيف بالتحريك، وهو رقة الخاصرة، والقميص الهفهاف، أي الرقيق الشفاف.
[16] الأوره: الأحمق من وره كفرح.
[17] ليلة قمرة وقمراء ومقمرة: فيها القمر.
[18] العنفص: المرأة البذيئة القليلة الحياء، والقليلة الجسم الكثيرة الحركة.
[19] المحل: الشدة والجدب وانقطاع المطر.
[20] الرخال جمع رخل كحمل وكتف، وهو الأنثى من أولاد الضأن.
[21] يقال عالت الناقة، وهو أن تحلب أول النهار ووسطه وآخره، والاسم علال كتاب.
[22] الجفال: الكثير من الصوف.
[23] المرهق: من يغشاه الناس والأضياف.
[24] النطيط: الذي لا لحية له، والنطيط: الهذريان (بكسر الهاء والراء) وهو الكثير الكلام يأتي بالخطأ والصواب عن غير معرفة.
[25] تصغير سوط.
[26] السبحل والربحل: البعير الضخم الكثير اللحم.
[27] أرأيتك: كلمة تقولها العرب بمعنى أخبرني، الجذع: البعير إذا كان في السنة الخامسة.
[28] البعير إذا كان في السادسة وألقى ثنيته.
[29] قال أبو علي: الصواب أنى أي بطء.
[30] السدس: البعير إذا كان في الثامنة.
[31] العرس: الأسد.
[32] ماع الفرس يميع: جرى، وصنعة الفرس: حسن القيام عليه، صنعت فرسي صنعاً وصنعة (بفتح الصاد فيهما) والصنيع ذلك الفرس.
[33] السليط: الشديد، والحديد من كل شيء، والتليع: الطويل العنق من التلع بفتحتين وهو طول العنق.
[34] الأيد ككيس: القوي، من« آد» يئيد أيداً أي قوي واشتد، والضليع وصف من ضلع ككصح ضلاعة، وهي القوة وشدة الأضلاع.
[35] هو الذي يجتهد في عدوه حتى يثير الغبار، من ألهب.
[36] الهيدب: السحاب المتدلي، والمنبعث: المنبعج بالمطر.
[37] الضخم: كشمس وسبب وأحمد وغراب: العظيم من كل شيء، وائتلق البرق وتألق: لمع.
[38] الصخب: وصف من الصخب كسبب وهو شدة الصوت، والمنبثق: المنفجر.
[39] بخ كقد: أي عظم الأمر وفخم، تقال وحدها وتكرر، بخ بخ الأول منون مكسور، والثاني مسكن، ويقال في الإفراد: بخ ساكنة الخاء؛ وبخ مكسورة، وبخ منونة مضمومة، ويقال بخ بخ مسكنين، وبخ بخ منونين مكسورين، وبخ بخ مكسورين مشددين منونين كلمة تقال عند الرضا والإعجاب بالشيء.
[40] يقال جمل عازب: أي لا يروح على الحمى من العزوب: وهو الغيبة والذهاب، وقولها: خزى المجلس، أي بما تحدثه من النهيق المزعج والإدلاء.
[41] العير: الحمار (وغلب على الوحشي)، وأدلى: أي أخرج قضيبه ليبول أو يضرب.
[42] الغضا: شجر له جمر يبقى طويلاً.
[43] الحلب: نبت، قال حمزة: العرب تسمي ضروباً من البهائم بضروب من المراعي تنسبها إليها، فيقولون: ظبي الحلب، وتيس الربلة (والربل محركة نبات شديد الخضرة)، وشيطان الحماطة (والحماطة كسحابة: شجر شبيه بالتين، أحب شجر إلى الحيات)... إلخ وذلك كله على قدر طباع الأمكنة والأغذية العاملة في طباع الحيوان.
[44] من العجف بالتحريك وهو ذهاب السمن.
[45] الطويلة المسترسلة.
[46] الجهمة: مؤنث الجهم وهو الوجه الغليظ المجتمع المسج، والقفرة، القليلة القفر بالتحريك: أي الشعر.
[47] الرغوث: كل مرضعة كالمرغث.
[48] ما عاذ بالعظم من اللحم.
[49] زكى كرضى نما وزاد كزكا يزكو.
[50] ذكى تذكية: سمن وبدن (بضم الدال).
[51] السكة: السطر من النخل، والمأبورة: المصلحة، من أبرت النخل آبره إذا لقحته وأصلحته.
[52] مأمورة: أي كثيرة الولد، من آمرها الله أي كثرها، وكان ينبغي أن يقال مؤمرة، ولكنه أتبع مأبورة؟ اقرأ في كتاب بلاغات النساء ص 57 فصلاً طويلاً في كلام هند بنت الخس وأختها جمعة.
[53] الساجي: الساكن والدائم.
[54] لعله ضاج من ضج القوم صاحوا واجلبوا.
[55] خيرهم: الوسط من كل شيء أعدله (قال أوسطهم... وكذلك جعلنا لكم أمة وسطا).
[56] جمع أشعث: وهو ملبد الشعر مغبره.
[57] الكعبة: والبنية بكسر الباء وضمها وسكون النون ما بنيته.